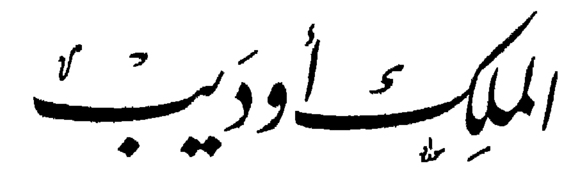
الملك أوديب

توفيق الحكيم



توفيق الحكيم



الملك أوديب

مع بحث طويل فى مقدمة وتعقيب
عن نشأة الأدب التمثيلى العربى

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية) ١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
٤ ــ شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية) ١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية) ١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة) ١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل) ١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

٢٢ ـــ شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
٢٣ ـــ الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
٢٤ ـــ مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٢٥ ـــ فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
٢٦ ـــ عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
٢٧ ـــ أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
٢٨ ـــ عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
٢٩ ـــ تأملات فى السياسة (فكر) ١٩٥٤
٣٠ ـــ الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
٣١ ـــ التعادلية (فكر) ١٩٥٥
٣٢ ـــ إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
٣٣ ـــ الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
٣٤ ـــ المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
٣٥ ـــ لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
٣٦ ـــ أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
٣٧ ـــ رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
٣٨ ـــ السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
٣٩ ـــ يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
٤٠ ـــ الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
٤١ ـــ رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
٤٢ ـــ سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
٤٣ ـــ شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

٤٤ ـ مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦
٤٥ ـ الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
٤٦ ـ ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
٤٧ ـ قالبنا المسرحي (دراسة) ١٩٦٧
٤٨ ـ بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
٤٩ ـ مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
٥٠ ـ رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
٥١ ـ حديث مع الكوكب (حوار فلسفي) ١٩٧٤
٥٢ ـ الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
٥٣ ـ عودة الوعي (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
٥٤ ـ في طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
٥٥ ـ الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
٥٦ ـ ثورة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
٥٧ ـ بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
٥٨ ـ أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
٥٩ ـ مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير) ١٩٧٧
٦٠ ـ تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
٦١ ـ ملامح داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
٦٢ ـ التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فكر فلسفي) ١٩٨٣
٦٣ ـ الأحاديث الأربعة (فكر ديني) ١٩٨٣
٦٤ ـ مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
٦٥ ـ شجرة الحكم السياسي (١٩١٩ ـ ١٩٧٩) ١٩٨٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون-لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينيجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ ..

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة توبليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان — لندن .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« الأدب التمثيلى » باب ، لم يفتح فى اللغة العربية إلا فى العصر الحاضر !... وقد تردد « الأدب العربى » فى قبول هذا اللون الغريب عليه !... فتركه زمناً خارج جدرانه ، يسمع بأمره من أفواه النظارة ، دون أن يحفل بالالتفات إليه ، أو الخوض فيه !...

لقد جَدّ منذ نحو قرن فى بعض البلاد العربية ؛ « كسوريا » و « لبنان » و « مصر » ؛ — نوع من المسارح ، يمتزج فيه الجد بالهزل ، والتمثيل بالغناء !... وقد نقلت إليه بعض قصص الغرب ، نقلا تاماً وغير تام ؛ تعرض فى ثوبها الأصيل ، أو فى ثوب يناسب الشرق ؛ أحياناً فى لغة فصحى ، وأحياناً فى لغة ، تلائم أفهام العامة !...

وكان المنبع الذى يستقى منه المسرح ، فى ذلك الوقت ، هو الأدب الفرنسى ، والأدب الإنجليزى ؛ فرأينا « البخيل » لـ « موليير » ؛ تعرض بالزجل ، ورأينا « روميو وجوليت » لـ

« شكسبير » ؛ تعرض بالألحان !...

كان مبدأ المسرح العربى فى الشرق ـــ كما هو معروف ـــ « مارون النقاش » ، ثم تبعه خلفاؤه : « القرداحى » و « أبو خليل القبانى » ... إلخ !... إلى أن حمل لواءه « الشيخ سلامة حجازى » ... وولى هو الآخر ، وورثه ـــ برواياته وألحانه ... « أسرة عكاشة » فمضوا فى خطته ... ولكن الثورة المصرية ، وانبثاق الروح القومية ، دفعتهم إلى الالتفات نحو تمصير رواياتهم !... فى ذلك الوقت بدأ كاتب هذه السطور حياته المسرحية ؛ مؤلفا لتلك الفرقة بعض الروايات ، على النحو الذى كان العمل عليه جاريا فى تلك الأيام !...

كل هذا كان يحدث ، دون أن يطمع أحد من كتاب المسرح ، فى أن يسمى عمله أدباً !... ودون أن يلتفت الأدب العربى ، إلى اعتبار هذا النوع من الكتابة ، أدبا : من قريب أو بعيد !... ودفع شوقى ، بعدئذ برواياته إلى المسرح ؛ فكان لها نجاح عند النظارة ! ولكنه لم يفكر ، هو أيضا ، فى طبعها قبل التمثيل !... ولم يقدر لها وجوداً مجيداً ، بعيداً عن أنوار المسرح !... فالقصيدة التى كان يدفع بها إلى الصحف السيارة ، أو إلى المطبعة ضمن ديوان ؛ ـــ كانت وحدها المعدة ، فى رأيه ، للدخول ظافرة ، إلى قصر الأدب ، تعنو لها

رءوس الأدباء !... فالحاجز إذن بين عالم المسرح ، وعالم الأدب ؛ كان من الأمور التى تحير العقول وتحتاج فى تفسيرها إلى تعليل !...

ورحل كاتب هذه السطور إلى أوروبا فى تلك الأثناء ... وهناك انكشف له السر العلة !... إن عالم المسرح فى أوروبا ، وعالم الأدب مندمجان متداخلان ، لا فاصل بينهما ولا حاجز ؛ والسبب فى ذلك واضح هو أن القصة التمثيلية فرع من الأدب ، تدرس فى المعاهد والجامعات ، على أنها أدب ، قبل أن يدفع بها إلى المسرح ؛ فقد ورثت أوروبا هذا الأدب عن الإغريق ، وبحثته ودرسته ، وعلى أساسه بنت ونسجت !... فهو جزء من آدابها القومية نشأ وترعرع على مر القرون — مُثل ، أولم يمثل ؛ فهو كائن بذاته ، شأنه شأن علوم المنطق ، والرياضة ، والفلسفة ، التى انحدرت إليها من عهد اليونان ؛ لذلك لم يجد كاتب هذه السطور بداً من أن يبدأ من البداية ، وأن يرجع إلى المنبع ، عندما أراد دراسة الأدب المسرحى !...

لقد كان يظن الأمر هينا ، والطريق ميسراً ، يبدأ من حيث شاء ، ويتوفر على هذا الأدب المسرحى الحديث ، الذى لا يكلف فى درسه عناء ، ولا يحمل فى فهمه مشقة ... قالوا له هناك : إذا كنت جاداً فعد إلى الإغريق !... وعاد إلى « أشيل »

و « سوفوكل » و « إيروبيد » و « أرستوفان » !... وهنا أدرك : لماذا يحفل الأدب العربي بالقصيدة ، ولا يعترف بالرواية التمثيلية ، حتى وإن كانت شعرا ؟!... لأن القصيدة هي ميراثه منذ القدم ؛ كما أن الشعر التمثيلي هو ميراث الأدب الغربي منذ القدم !...

ما من شيء أقوى من الميراث !... إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التي ينقل بها الكائنات ، من زمان إلى زمان !... ما طبائع الأفراد ، وخصائص الشعوب ، ومقومات الأمم : — إلا ميراث صفات وسمات ، تنحدر من جيل إلى جيل !... وإن ما يسمونه العراقة في شعب ، ليس إلا فضائله المتوارثة ، من أعماق الحقب ، وإن الأصالة في الأشياء والأحياء ، هي ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة ، كابراً عن كابر ، وحلقة بعد حلقة !... هكذا يقال في شعب ، أو رجل ، أو جواد ! وكذلك يقال في فن ، أو علم ، أو أدب !... عراقة الأدب هي طابعه المحفوظ المنحدر إلينا من بعيد !...

لقد أرادت أمريكا أن تختزل الطريق في فن الموسيقى : فابتدعت ذلك النوع ، من موسيقى الزنوج ، المسمى « بالجاز » ، فأخفقت في حمل العالم المثقف ، على تبجيل هذه الموسيقى ، التي لا أصل لها يوقر ، ولا نسب يحترم ، ولو لم تكن لغتها هي الإنجليزية ، لكان لأدبها أيضاً هذا

المصير ! ... لكن الأدب الأمريكي ما استطاع أن يكون أدبا إلا لارتكازه على التراث المعترف به من الأدب الإنجليزى ! ... فما هو فى حقيقة الأمر إلا غصن حديث النبت ، في دوحة الآداب السكسونية ! ...

الأدب العربى إذن كغيره من الآداب العريقة ، لا يقبل العبث بدمه وطابعه ، دون بحث وتمحيص ، وحذر واحتياط ! ... وهو ، عندما وقف فى القرن الأخير ، هذا الموقف الحذر من المسرح : — لم يكن فى ذلك ملوماً ولا كان متجنياً ؛ فإن الطريقة التى ظهر بها المسرح ، فى الشرق العربى ، لم تكن على أساس ، يمكن تسويغه فى نظر ذلك الأدب العريق ... ولو أنه قام فينا — منذ قرن أو قرنين — أديب ينادى متسائلا :

« أيها الأدب العربى ! ... لقد كان بينك من قديم ، وبين الفكر الإغريقى وشائج وصلات ... لقد نظرت فيه وأخذت مما عنده من علوم وفلسفة ، ولكنك أشحت بوجهك عما عنده من شعر !... إلام هذه القطيعة ؟... ومتى يتم الصلح بينك وبين الشعر الإغريقى ؟... انظر فيه قليلا ، واسمح بنقله وبحثه ، فربما وجدت عنده ما يدعم تراثك ، وينمى للأجيال القادمة ميراثك !...

هذا الصوت لم يرتفع فى القرون الماضية ، وظلت القطيعة

بذلك قائمة بين الأدب العربى والأدب الإغريقى ... وباستمرار هذه القطيعة تعذر على المسرح أن يقوم على أساس وطيد ، وأن يجد مكاناً لدينا ، فى أروقة : الأدب ، والفكر ، والثقافة ، !...

لا بد إذن من الصلح بين الأدبين ، إذا أردنا من الأدب العربى أن يقر ، فى تاريخه العريق ، هذا القالب التمثيلى من الشعر أو النثر إقرارا ، له قيمة وبقاء ... ولكن ... كيف يكون الصلح ؟...

لا بد ، قبل كل شىء من أن نعرف أسباب النفور ؛ لنسعى بعدئذ فى التوفيق ، ونأتى بوسائل الوفاق ؟ ...

قبل كل شىء ينبغى لنا أن نتساءل : على من تقع تبعة الإحجام عن نقل الشعر الإغريقى إلى اللغة العربية ؟... وهذا السؤال يجرنا إلى البحث فى طريقة نقل التراث الإغريقى وموجباته وموحياته !...

المعروف أنه عقب فتوح « الإسكندر » تغلغل الروح اليونانى فى « آسيا » وكانت « سوريا » و « ما بين البحرين » أى « دجلة والفرات » ، من أهم المناطق التى خضعت لنفوذ الحضارة الإغريقية !... هناك فى صوامع نساك السوريين ، المنتشرة فى تلك البقاع ، نشطت على مدى القرون حركة ترجمة واسعة ، للمؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية !... من هذه الترجمات السريانية ، جاء العرب بعدئذ ، ونهلوا ، ونقلوا !...

إذا كان هذا القول صحيحاً فإن على العرب أن يقولوا : إنهم نقلوا

ما وجدوا !... ولم يكن الشعر من بين ما عنى به أولئك الرهبان !... ولكن الذى حدث ، هو أن كثيرين من العرب تعلموا بعد ذلك اليونانية ؛ واستطاعوا أن ينقلوا عنها مباشرة !...

وكان مما نقل منها إلى العربية كتاب الشعر أو « البويطيقا » لـ « أرسطو » !... وفيه تعريف بـ « التراجيديا » و « الكوميديا » وما إليهما من فنون الشعر التمثيلى !... وجاء « ابن رشد » ، فدلنا — بتعليقاته المشهورة على كتاب « البويطيقا » أن العرب ما أرادوا عامدين أن يوصدوا الذهن ، دون العلم بفن الشعر عند الإغريق !... كيف إذن لم يدفعهم الفضول ، بعدئذ ، إلى نقل بعض ألوان « التراجيديا » أو « الكوميديا » إلى العربية ؟...

من المفهوم أن يقعدوا عن نقل شعر غنائى ؛ مثل شعر « بندار » أو « أناكريون » . ففى الشعر العربى الجاهلى أو العباسى ما يضاهى ذلك اللون ... ولكن لماذا — وهم على ما نعرف من حب الاطلاع — لم يقدموا على ترجمة مآسى شعراء الإغريق ؟!... الجواب عن ذلك يقتضى أولا : أن نعرف ما هى « المأساة » ؟... وكيف نشأت فى اليونان ؟... لم يبق شك اليوم فى أن « التراجيديا » قد نتجت عن عبادة « باكوس » ، إله الخمر المعروف عند الإغريق باسم « ديونيزوس » ؛ ففى كل ربيع كانت تقام لهذا الإله حفلات دينية ، صاخبة بالنشوة ، فياضة بالمرح !... يرقص الناس فيها ويغنون ،

حول تمثال إله الخمر ، وهم متنكرون فى جلود الماعز ، وأوراق الشجر !... وكان هذا الرقص والغناء فى مبدإ الأمر مرتجلاً ... فإذا مر الزمن بعد ذلك ، يهذب من شأنهما .. وإذا الناس يضعون ، هذا الرقص ، وهذا الغناء ، على أسس من الإعداد والتنسيق ، ويؤدونهما طبقا لقواعد محددة الأركان ... وما لبث ذلك الغناء أن امتزج به نوع من التنويه بأعمال ذلك الإله على صورة سرد ، يلقى منشيداً : بفتوحاته ، ومغامراته ، ورحلاته العجيبة !... ثم تطور الأمر ، بجوقة الراقصين من الناس ، إلى أن صاروا ينوعون فى ثياب تنكرهم ، ويمثلون ألوانا أخرى من « الشخصيات » — غير الماعز والحيوانات !... وتطور السرد أيضا فصار يعنى بأشياء أخرى ، لا صلة لها بحياة الإله ، الذى يحتفلون بأعياده ، حتى ضج الرجعيون والمحافظون من الشيوخ لهذه البدعة ، فقالوا : « ما فى هذا شىء لـ « باكوس » !... وصارت هذه الجملة بعد ذلك مثلاً فى اللغة اليونانية !...

ولكن من هذه البدعة التى أثارت النقد والغضب ، خرج الفن المسرحى !... !... فلم يمض قليل حتى ظهر رجل يدعى « تسبيس » قاده تفكيره إلى أن يؤلف ما ينبغى أن يوضع على لسان الجوقة المنشدة ؛ وعلى لسان ممثل واحد ، يحاور الجوقة ويحاوره ... وجعل لهذا الممثل أقنعة وملابس مختلفة ، فاستطاع بذلك أن يتقمص بمفرده

شخصيات عدة !...

على هذا النحو ، انتقل الأمر من مرحلة السرد ، إلى مرحلة الحوار والحركة !... وهنا ولدت التمثيلية ، ووجدت « التراجيديا » .. وجاء بعد « تسبيس » شاعر يدعى « فرينيكوس » ، سار خطوة أخرى بهذا الفن ؛ فقد قيل إنه أول من أدخل شخصيات النساء فى التمثيل !.. وإنه جعل الجوقة ، تنقسم قسمين ، يستطيع أحدهما أن يحاور الممثل بلهجة الرضا عن أعماله ، بينا الآخر يحاوره بلهجة السخط والنقد ؛ كما لو كانت الجوقة بقسميها الناس فى المجتمع ، بينهم المؤيد لما يرى من أعمال ، وبينهم المعارض !...

ويذكر لنا التاريخ أيضاً، شاعرين معاصرين لذلك الشاعر، هما: «كيريلوس» و «براتيناس»، قام كل منهما بنصيب، فى تحسين هذا اللون من الفن!... أولئك جميعاً، كانوا هم الممهدين لظهور أساتذة «التراجيديا» العظام: «إشيلوس» و «سوفوكلس» و «إيروبيدس»!...

تلك إشارة سريعة إلى نشأة الشعر التمثيلى فى اليونان ... منها نرى أن عبادة « باكوس » هى أم « التراجيديا » !... لقد انسكب هذا الفن لنا إذن ؛ كما ينسكب الخمر ... من دنّ الدين !... هكذا مضى شعراء « التراجيديا » العظام ، ينسجون آثارهم الخالدة من أساطيرهم الدينية : من « الميثولوجيا » ، ويودعونها روح الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية ... أترى هذه الصبغة الدينية هى التى

صدت العرب عن اعتناق هذا الفن ؟...

هذا رأى جماعة من الباحثين ؛ فهم يزعمون أن الإسلام هو الذى حال دون اقتباس هذا الفن الوثنى !... إنى لست من هذا الرأى ؛ فالإسلام لم يكن قط عسيراً على فن من الفنون ؛ فقد سمح للناقلين أن يترجموا كثيراً من الآثار ، التى أنتجها الوثنيون : فهذا كتاب « كليلة ودمنة » الذى نقله « ابن المقفع » عن « اللغة الفهلوية » ، وهذا كتاب « الشاهنامة للفردوسى » الذى نقله « البندارى » عن « الفرس » فى عهدهم الوثنى !... كما أن الإسلام لم يحل دون ذيوع خمريات « أبى نواس » ، ولا دون نحت التماثيل فى قصور الخلفاء ، ولا دون براعة التصوير فى « المنياتور » الفارسى ، كما أنه لم يحل دون نقل كثير من المؤلفات اليونانية ، التى جاء فيها ذكر لتقاليد وثنية ... كلا ، ليست صفة الوثنية فى ذاتها ، هى التى صرفت العرب عن الشعر التمثيلى !... ما الذى حجمهم إذن ؟... أتراها صعوبة فهم ذلك القصص الشعرى ، وكله يدور حول أساطير ، لا سبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل ، يذهب بلذة المتتبع لها ، ويقضى على مُتعة الراغب فى تذوقها ؟... ربما كان فى هذا التعليل شىء من الصواب ؛ فلقد أدهشتنى عبارة للناقد « فرانسسك سارسى » ينصح بها النظارة ، عند ما مثلت « أوديب الملك » على مسرح « الكوميدى فرانسيز » فى عام ١٨٨١ م — وهى المأساة التى اعتبرها أنا من أقل

مآسي اليونان غرقاً فى « الميثولوجيا الدينية » !... وأكثرها وضوحاً ونقاء ، وأقربها إلى النفس فى إنسانيتها المجردة !...

قال الناقد :

« أنصح للنظارة — لا سيما النساء منهم — أن يفتحوا كتاباً أو معجما فى « الميثولوجيا الإغريقية » ، يطالعون فيه ... قبل مشاهدة تمثيل الرواية — ملخص أسطورة « أوديب » ؛ فإن هذا يجنبهم سأم التوه والضلال ، فى ظلمات الفصل الأول .. »

هذه النصيحة تساق إلى من ؟... إلى جمهور أمة ؛ أقامت ثقافتها على أساس « التراث الإغريقى » ... جمهور قد عرف أكثره مقاعد الدرس ، حيث لقن — ولا شك فيما لقن — آداب اليونان ؛ بمآسيها ؛ وملاهيها !... إذا كان مثل ذلك الجمهور — فى مثل ذلك العصر الحديث — لم يزل فى حاجة إلى ملخص أو معجم لمتابعة « مأساة أوديب » ؛ — فما بالنا بالقارئ العربى ، فى العهد العباسى أو الفاطمى ؟!...

لكن ، على الرغم من وجاهة هذا التعليل ، فإنى لا أعتقد أن هذا أيضاً ، يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن ؛ فإن كتاب « الجمهورية » لـ « أفلاطون » ، قد ترجم إلى العربية ، وما أشك أن فيه من الأفكار ، حول تلك المدينة المثالية ، ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه ، ولكن ذلك لم يمنع من نقله ، بل إن هذه

الصعوبة بالذات قد دفعت « الفارابى » إلى أن يتناول « جمهورية أفلاطون » فيضفى عليها ثوبا جديداً من خواطره ، ويصبها فى قالب عقليته الفلسفية الإسلامية !...

مثل هذا كان يصح أن يحدث « للتراجيديا الإغريقية » ... كان فى الإمكان أن تنقل مأساة مثل « أوديب » ثم يتناولها بعدئذ شاعر أو ناثر ، فيطرح عنها ما يشق فهمه ، من الإشارات الميثولوجيــة ، ويجردها مما يغلفها من العقائد الوثنية ، ويبرزها واضحة جلية فى بدنها الإنسانى العارى !... أو يلقـى عـليها ثوبـا شفافـا مـن العقيــدة الإسلامية ، أو التفكير العربى !...

لماذا لم يتم ذلك ؟... لأن هنالك سببا آخر ، ولا ريب ، هو الذى صد العرب عن اقتباس المسرح الإغريقى !... لعل السبب هو أن « التراجيديا الإغريقية » ما كانت ـــ حتى ذلك الحين ـــ تعتبر أدبا معداً للقراءة !... إنها لم تكن وقتئذ شيئا مما يقرأ مستقلا ؛ كما تقرأ « جمهورية أفلاطون » ، فقد كانت تكتب ، لا للمطالعـة ، بـل للتمثيل !... وكان المؤلف يعرف أن عمله سيعرض على الناس ، ممثلا فى مسرح ، فكـــان يجرد نصوصه وحـــواره مـــــن الشروح ، والملاحظات ، والمعلومات اللازمة ، للإحاطة بجو القصة ؛ ـــ اعتماداً منه على أن المشاهد ، سوف يدركها ببصره ، قائمة ماثلة عنــد الإخراج ... وفى الحق لقد بلغ المسرح الإغريقى حداً من الدقة

والتعقيد ، فى آلاته وأدواته ، يثير الدهش !... فكان فيه من الآلات ، التى تتحرك ، وتدور حول نفسها ، ومن الحيل والوسائل المسرحية ؛ ــ ما مكن أولئك القوم من إخراج « بروميثيوس المقيد » ، للشاعر « إشيل » بما فيها من عرائس البحر ، وهى تخطر خلال السحب والمحيط ، وهو قادم ممتطيا ظهر ذلك الحيوان الخرافى ، الذى له رأس نسر ، وجسم جواد !...

لعل هذا مما جعل المترجم العربى ، يقف حائرا أمام « التراجيديا » !... فهو يقلب بصره فى نصوص صماء ، يحاول أن يقيمها فى ذهنه ، نابضة متحركة ، بأشخاصها وأجوائها ، وأمكنتها ، وأزمنتها ؛ فلا يسعفه ذلك الذهن ؛ لأنه لم ير لهذا الفن ممثيلا فى بلاده ... إن « الجوقة » ، عند الأغريق ، هى التى خلقت التمثيل !... والممثل « تسبيس » هو الذى خلق التمثيلية !... لم تخلق الرواية المسرح ، ولكن المسرح هو الذى خلق الرواية !... وما دام المترجم العربى قد أيقن أنه أمام عمل ، لم يجعل للقراءة . ففيم ترجمته إذن ؟...

لعل هذا هو علة الإحجام عن نقل الشعر التمثيلى اليونانى ، إلى اللغة العربية !... لقد كانت حركة ترجمة الآثار الإغريقية ، مقصوداً بها حصول النفع ، لا مجرد حب الاطلاع ، أو مجرد الفضول !... وقد انتفى النفع فى هذه الحالة ؛ لما فى « التراجيديا » من معان ومرام ــ لا

تبلغ ولا تنال ، بالمطالعة وحدها — كان لا بد لإبرازها من أداة التمثيل ، وهي شيء غير موجود ولا مألوف !.

على أن السؤال ، الذي يجب أن يلقى بعدئذ هو : لماذا لم يكن التمثيل في الحضارة العربية و لم يعرف ؟...

لقد كان للعرب هم أيضا عهدهم الوثني ، وكان من شعرائهم في ذلك العهد ، من قيل إنه ذهب إلى بلاد « قيصر » ؛ مثل « أمرىء القيس » !... هناك رأى ، ولا ريب ، مسارح الرومان ، قائمة شامخة ، وقد ورثوا هذا الفن عن اليونان ... أما استطاعت رؤية المسرح أن توحي إلى الشاعر العربي الوثني بفكرة اجتلابه ، أو نقله ، أو اقتباسه ؟...

نقله إلى أين ؟... هنا المشكلة !... إن الوطن ، الذي ينقل إليه هذا الفن ، الشاعر العربي الوثني — لو أراد — ليس سوى صحراء واسعة كالبحر ، تسعى فيها الإبل كالسفن ، هائمة بركبها من جزيرة إلى جزيرة ، هي واحات متناثرة ، تنفجر بالماء اليوم وتونع بالنبت ؛ ليغيض نبعها في الغد ، وتذبل خضراؤها ... وطن متنقل على ظهور القوافل ، يجري هنا وهناك ، خلف قطرة غمام !... وطن يهتز فوق الإبل في سيرها الطويل ، اهتزازاً متصلا ، منغما متزناً ، يغري الركب بالغناء ! من ها هنا ولد الشعر العربي : نشأ من الحداء ، عندما رفع الممسك بزمام الجمل الأول عقيرته منشدا ، على وقع تلك

الموسيقى الخفية الخافتة ، المنبعثة من وطء أخفاف الجمال على الرمال !...

كل شيء إذن ، فى هذا الوطن المتحرك ، كان يباعد بينه وبين المسرح ؛ لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب : الاستقرار !...

افتقار العرب إلى عاطفة الاستقرار ، هو فى رأيى السبب الحقيقى لإغفالهم الشعر التمثيلى ، الذى يحتاج إلى المسرح ، فإن مسرح « باكوس » الذى كشفت عن آثاره أعمال الحفر فى العصر الحديث كان بناء متينا راسخا ، مؤسسة ملكا للدولة ... ومن يطلع على ضخامة ذلك البناء فى آثاره أو رسومه ، وما كان يتسع له من آلاف المشاهدين ؛ يحكم من الفور بأن هذا أمر لا بد له من مدنية مستقرة ، وحياة اجتماعية موحدة مكتلة !... ولكن ، أما من حق باحث أن يعترض قائلا : لقد عرف العرب فى الدولة الأموية ، والدولة العباسية ، وما بعدهما تلك المدنية المستقرة ، وذلك المجتمع الموحد المتكتل ؛ فما بال العرب فى تلك العهود ، قد انصرفوا عن تشييد المسرح ، وهم على ذلك قادرون ، بينما رأيناهم يمرون بالحضارات المختلفة ، فيقتبسون من فن عمارتها ، ما أقاموا به فنا للعمارة رائعا ، يحمل طابعهم الجديد ؟!...

الجواب عن ذلك بسيط ، هو : أن العرب ، فى الدولة الأموية وما بعدها ؛ — ظلوا يعتبرون شعر البداوة والصحراء ، مثلهم الأعلى ،

الذى يحتذى ، وينظرون إلى الشعر الجاهلى ؛ نظرتهم إلى النموذج الأكمل ، الذى يتبع !... فهم قد أحسوا فقرهم فى العمارة و لم يحسوا قط فقرهم فى الشعر !... وهم عندما أرادوا أن ينقلوا عن غيرهم وينهلوا ، ذهبوا كل مذهب ، ونظروا فى كل فن ؛ — إلا فن الشعر الذى اعتقدوا أنهم بلغوا فيه الغاية منذ القدم !... وهكذا نرى أنفسنا أمام دائرة مفرغة ، تدور بأسباب ، تحول كلها دون اقتراب العرب من التمثيل !...

لكن ، أكان من الضرورى للأدب العربى أن توجد فيه « التراجيديا » ؟... وهل كانت « التراجيديا » لونا لازما ؛ لتطور الأدب العربى، واكتمال شخصيته ؟!...

من يطلع على مقدمة « كرومويل » المشهورة لـ « فكتور هوجو » يجد بعض الجواب :

إنه يقسم تاريخ البشرية إلى ثلاثة عهود : « العهد الفطرى » هو فى رأيه عهد « الشعر الغنائى » ، وعنه يقول : فى العهود الفطرية يُنشد الإنسان ؛ كأنه يتنفس ، فهو فى عهد فتوته ، صداح بالغناء .. إلخ ... ثم يأتى « العهد القديم » وهو « عهد الملحمة » ؛ فقد تطورت القبيلة وصارت أمة ، وحلت غريزة المجتمع محل غريزة التنقل !... تكونت الأمم وعظم شأنها واحتك بعضها ببعض ، وتصادمت فتحاربت ... هنا ينهض الشعر ؛ ليروى ما وقع من

أحداث ، ويقص ما جرى للشعوب، وما حل بالإمبراطوريات !...
وأخيرا يأتى العهد الحديث وهو عهد التمثيلية ، وهى فى نظره « الشعر الكامل » ؛ لأنها تحوى فى جوفها كل الأنواع : فيها بعض من الغناء وبعض من الملاحم !...

ولنصغ إليه ، وهو يلخص فكرته ، بقوله : إن المجتمع البشرى يدرج ويشب متغنيا بأحلامه ، ثم يأخذ بعدئذ فى سرد أعماله ، ثم يعمد آخر الأمر إلى تصور أفكاره !...

ويدعونا « هوجو » إلى امتحان مذهبه فى كل أدب من الآداب على حدة ، مؤكدا لنا أنا واجدون فيها كلها مصداقاً لهذا التقسيم ؛ فشعراء الغناء عنده يسبقون دائماً شعراءِ الملاحم ، وشعراء الملاحم يسبقون شعراء التمثيل !...

أترى هذا المذهب صالحاً للتطبيق على الأدب العربى ؟...

فى رأيى أنه يصلح ، لو تغاضينا عن « القوالب » ، وانتصرنا فى بحثنا على « الأغراض » !... ما من شك فى أن الشعر العربى ، قد تغنى بالأحلام ، ووصف الحروب ، وصور الأفكار ؛ دون أن يغير فى طريقته ، أو يخرج عن قالبه ، أو ينحرف عن أوضاعه !... وسلك

فى هذا السبيل عين الترتيب ، الذى أورده « هوجو » ؛ ففى العصر العباسى وحده ، نجد « البحترى » قبل « المتنبى » ، و « المتنبى » قبل « أبى العلاء » !... ولو غرس هؤلاء الشعراء فى أرض اليونان ، لكان « البحترى » « صنّاجة العرب » هو « بندار » ، ولكان « المتنبى » ، الذى دوّى فى آذاننا ، على مدى الأجيال ، بصليل السيوف هو « هومير » ولكان « أبو العلا » ، الذى صور لنا التفكير فى الإنسان ومصيره ، والملإ الأعلى ، هو « إشيل » !... فالتطور إذن من حيث « الموضوع » قد تم ... ولكن التطور — من حيث الشكل ، — حالت دون إتمامه تلك الظروف ، التى لابست نشأة الدولة العربية !... ظروف — كما رأينا — لا تنافى عقلية العرب ، ولا تعارض طبيعتهم الفنية ، ولكنها استطاعت عل كل حال ، فى تلك المرحلة من تاريخهم ، أن تقصيهم على رغمهم ، عن هذا الفن من فنون الأدب !...

ليست هنالك إذن خصومة أصيلة بين اللغة العربيـة والأدب التمثيلى ... إما هو نوع من التباعد المؤقت ، مرجعه الافتقار إلى الأداة ... شأن العرب هنا شأنهم يوم كانوا لا يعرفون من المطايا غير الإبل ... لو أن الظروف شاءت أن تحرمهم الجواد ، لظلوا حتى الساعة لا يعرفون ركوبه !... ولكن ما إن دخل الجواد الصحراء حتى غدا العرب فرسانه !... حذقوا فنون تربيته ؛ وفنون الحديث

عنه ... فإذا سئل اليوم عن الجواد الأصيل ، فى أرجاء العالم قيل هو الجواد العربى ، وإذا أريد وصف رائع لخصال الخيل ، فلن يكون إلا فى الشعر العربى !...

كل الأمر إذن فى « الأداة » !... وكما أن العرب فى عهد الإبل كان لسان حالهم يقول : « أعطونا الجواد ونحن نركب !... فإنهم كذلك قد يقولون : « أعطونا المسرح ونحن نكتب !...

وما من ريب فى أن العالم اليوم قد تغير ... وأصبح المسرح — بمعناه الواسع — ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة ، ليس وقفاً على طبقة دون طبقة ؛ فهو الغذاء اليومى لأذهان الناس ، يختلف رسمه باختلاف ثقافاتهم ، ولكنه فى آخر الأمر هو أداة الفن الشائعة ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأعنى بالمسرح هنا كل فن يرمى إلى تصوير الأشياء والأشخاص والأفكار على : خشبة ، أو شاشة ، أو موجة ، أو صفحة ؛ — بأن يقيمها حية ، تتحدث ، وتتحاور ، وتبرز مكنون سرها وفكرها ، أمام الناظر ، أو السامع ، أو القارئ !...

هذا الأسلوب العالمى فى عرض الأفكار عرضاً حياً — فى صورة « تمثيل » لم يعد إلى تجاهله من سبيل !... وحيثما ذهبنا اليوم فى بلاد « الضاد » وجدنا دوراً شاهقة سامقة مزخرفة ، هى أفخم دور مدننا بناءً : تلك هى « المسارح » !...

وجد لدينا « المسرح » إذن ، أى « الأداة » ... وأصبح فى حياتنا العربية من حاجاتنا الضرورية ؛ كالخبز والماء ... وفى كل يوم تتسع رقعة العمل أمام هذه « الأداة » التى تسمى « التمثيل » ، حتى أمست — بعد انتشار « الإذاعة » — غذاء يومياً يدخل كل بيت !... كل هذا كان يجب أن يبلغ أسماع الأدب العربى العريق ... وأن يحمله على الالتفات إلى هذا الفن وإقرار أسسه بين مناهجه وأبوابه ... وأغلب ظنى أن الأدب العربى تواق إلى ذلك ؛ فما هو بالأدب الميت ، ولا بالأدب الجامد !...

ولكن ما الوسيلة ؟... إنه لا يستطيع أيضا أن يفتح فى هيكله النبيل باباً ، ويقر فيه فنا على غير دعائم ؛ فما هو بالأدب العابث ولا بالأدب الدخيل !... أولئك الذين حافظوا على الأنساب فى الآدميين والجياد ، لا ينبغى أن نفجعهم فى عراقة أدبهم ، فى زمن أخير من الأزمان !... لا بد إذن من إيجاد حلقة نسب مفقودة ، نرجع إليها ؛ لنحكم رباط الأدب بالفن التمثيلى !.. هذه الحلقة لا يمكن أن تكون سوى : « الأدب الإغريقى » !...

لهذا كله يتحتم الصلح بين الأدبين العريقين ...

وهنا نقترب من المسألة الكبرى : ما هى طريقة الصلح ؟... أيكفى لها العكوف ، بعناية واحتفال ، على الأدب التمثيلى اليونانى ، ننقله كله إلى لغتنا العربية ؟... هذا أمر لا بد منه بالبداهة ... ولقد تم

من ذلك شيء كثير ؛ — بل كلنا شاهد على المسرح العربى « أوديب الملك » لـ « سوفوكل » تمثل منذ أكثر من ثلث قرن !...

على أن مجرد نقل الأدب التمثيلى الإغريقى إلى اللغة العربية ، لا يوصلنا إلى إقرار أدب تمثيلى عربى ... كما أن مجرد نقل الفلسفة الإغريقية ، ما كان يوصل إلى إيجاد الفلسفة العربية أو الإسلامية .

ما الترجمة إلا آلة يجب أن تحملنا إلى غاية أبعد !...

هذه الغاية هى الاعتراف من المنبع ، ثم إساغته ، وهضمه ، وتمثيله ؛ — لنخرجه للناس مرة أخرى ، مصبوغا بلون تفكيرنا مطبوعا بطبائع عقائدنا !... هكذا فعل فلاسفة العرب ، عندما تناولوا آثار « أفلاطون » و « أرسطو » !

كذلك يجب أن نفعل فى « التراجيديا » اليونانية ، نتوفر على دراستها بصبر وجلد ، ثم ننظر إليها بعدئذ بعيون عربية ،...

وخلفنا طريق مماثل ، قد سلك فى تاريخ الآداب الفرنسية ... فقد عاد شعراء المآسى فيها إلى الآثار اليونانية القديمة ، إلى آثار « إشيل » و « سوفوكل » و « إيروبيد » ؛ — فاغترفوا منها ونقلوا ، دون أن يغيروا فى الموضوع ، أو الأشخاص ، أو الحوادث ، ولكن أسبغوا على تلك الآثار كلَّ روحهم الفرنسى !...

تلك هى وسيلة الصلح ، بل عملية « التزاوج » بين روحين ، وأدبين !...

ذلك التزاوج الذى حدث بين الفلسفة اليونانية والفكر العربى وهذا التزاوج الذى تم بين الأدب الفرنسى والأدب اليونانى ؛ — مثل هذا التزاوج يجب أن يحدث نظيره ، بين الأدب اليونانى والأدب العربى ، فيما يتعلق « بالتراجيديا » ... إذا تم ذلك على أى نحو من الأنحاء بالشعر أو بالنثر ، فما إخال الأدب العربى إلا معترفا بهذا الباب الجديد القديم ، متغاضيا عن الزمن الذى حدث ذلك فيه !... فما الزمن فى تاريخ الأدب الطويل بذى بال ، ما دامت الحلقات فيه وثيقة الاتصال ، منطقية الارتباط ، معقولة الخطوات .

ولقد كان من رأيى دائماً أن الأدب العربى الحديث ليس إلا استمرارا لحركة التجديد ، التى قام بها « الجاحظ » فى القرن الثالث الهجرى وعلى الرغم من انتكاسه أحيانا ، ووقوعه فى الانحطاط والتقليد فى فترات تخللت هذا الزمن الطويل ، وعلى الرغم مما قيل عن تأثره الأعمى بالأدب الغربى فى العهد الأخير ؛ — فهذا التأثر الذى لاحظه بعض السطحيين من المستشرقين ، ما تعدى الشكل ، والمظهر ، واللباس !... وهو أمر طبيعى فى تاريخ آداب كل الأمم . فإن الرداء الخارجى ملك مشاع للحضارة القائمة فى أى عصر من العصور ، ولكن الاختلاف يكون فى الجوهر والطابع ، والإحساس ! وما فقد الأدب العربى قط روحه وتفكيره ، وإحساسه ، على مدى الأحقاب ، سواء وقف أو سار ، جمد أو

تطور !...

هكذا دفعت دفعاً إلى دراسة الأدب التمثيلي عند اليونان !... ما نظرت فيه ، نظرة باحث فرنسي أو أوروبي ، بل نظرة باحث عربي شرقي !.. والنظرتان مختلفتان جداً ـــ كما اتضح لي فيها بعد ـــ فإنه على الرغم من ملابسي الأوربية ، التي كنت أذهب بها إلى « الكوميدي فرانسيز » أشاهد « أوديب » لـ « سوفوكل » يمثلها « ألبير لامبير»... وعلى الرغم من ذلك الروح الفرنسي، الذي كان يشع من مآسي « كورني » و « راسين » ؛ ـــ فإن شيئاً في إعماق نفسي ، كان يدنيني من روح « التراجيديا » كما أحسها الإغريق !...

وما هي روح « التراجيديا » عند الإغريق ؟... هي أنها تنبع من شعور ديني !... كل جوهر « التراجيديا » هو أنها صراع ، ظاهر أو خفي ، بين الإنسان والقوى الإلهية المسيطرة على الكون !... صراع الإنسان مع شيء أكثر من الإنسان ، وفوق الإنسان !... أساس « التراجيديا » الحقيقية في نظري ، هو إحساس الإنسان أنه ليس وحده في الكون ، وهذا ما أعنيه بلفظ « الشعور الديني » !... مهما يكن « شكل » التمثيلية ، وإطارها ، وأسلوبها ، والأثر الذي تحدثه في النفس ، ـــ فإن هذا كله لا يسوغ في رأيي ، وصفها بـ « التراجيديا » ما دامت لا تقوم على هذا « الشعور الديني » !... هذا العنصر الإلهي في روح « التراجيديا » ، لم يحتفظ بحرارته وتألقه على

مدى العصور ؛ فمنذ العصر اللاتينى نجد الشعراء يتناولون بالتقليد الدقيق « التراجيديا » الإغريقية ، فى كل مظاهرها الخارجية ، دون أن يحتفظوا كثيراً بالجوهر ، وجاء عصر النهضة فأوغل فى هـذا السبيل ، ولم يعد الشعراء يفرقون بين المأساة والبشاعة ؛ فكلما كدسوا الرعب ، وكتلوا الهول ؛ — حسبوا أنهم يصنعون مأساة ، تضارع المآسى اليونانية ، حتى أتى القرن السابع عشر ، فإذا نحن أمام « التراجيديا » ، وقد أمست صراعا بين الإنسان ونفسه ؛ فهى مع « كورنى » قائمة على حوادث التاريخ ، ولنصغ إلى العلامة « برونتيير » وهو يقول محبذاً :

« أوَ ليس التاريخ هو مشهد صراع بين إرادة وإرادة ، إنه لمن الطبيعى أن يغدو التاريخ ملهما لمسرح ، يقوم بأكمله على الإيمان بسلطان الإرادة » .

أما مع « راسين » فقد أصبحت « التراجيديا » صراعاً بين عاطفة وعاطفة ، وإذا « الحب » مع ما يتبعه من غيرة ، وحسد ، وحقد وبغضاء ؛ — هو المجال الذى يتحرك فيه شعوره وتفكيره ، وكلاهما — فضلا عن ذلك — غلف مآسيه بالروح الفرنسى ، فالشاعر كورنى « فَرْنس » التاريخ ، إلى حد جعل « نابليون » فيما بعد ، يفضله على جميع الشعراء ؛ فقد كان يقول عنه : « هذا الرجل قد استشف معنى « السياسة » !... ولو أنه كوّن تكويناً عمليا لكان

رجل دولة ، إن حكم الدولة قد حل عند الشعراء المحدثين محل حكم القدر عند الأقدمين !... وإن « كورنى » هو الوحيد ، من بين الشعراء الفرنسيين ، الذى أحس هذه الحقيقة !.

ويبدو أن إعجاب « نابليون » بهذه النزعة عند « كورنى » حمله على التنويه بها كثيرا ، وعلى إظهار الأسف أن « كورنى » لم يعش فى عهده ، وإلا كما قال : كنت جعلته أميرا ، بل كنت عينته وزيراً أول !...

و لم يجد « نابليون » ما يفعله من أجل « كورنى » هذا ، إلا أن يبحث عن إحفاده ، فما وجد منهم غير امرأتين ، أمر بأن يجرى عليهما معاش سنوى ، قدره ثلثمائة من الفرنكات !...

فى هذا العصر بالذات لم يكن من الميسور ، فيما يبدو ، أن يتذوق الشعب المآسى الإغريقية على وضعها الصحيح ، ولا أن ينفذ ، حتى خاصتهم ، إلى روحها ؛ فقد تمنى « نابليون » أن يرى « أوديب » لـ « سوفو كل » ممثلة على المسرح ، فوجد معارضة شديدة من ممثل فرنسا الأول ، فى ذلك العصر ، « تالما » العظيم !... لكن « نابليون » شرح وجهة نظره قائلا :

« إنى ما أردت ، بهذه الرغبة ، أن أصحح وضعنا المسرحى الحديث ، ولا أن أدخل عليه بدعة من البدع ، ولكن أردت أن أشاهد هذا الأثر الذى يمكن أن يحدثه الفن القديم ، فى مشاعرنا وظروفنا

الحديثة !... وإنى لموقن أن تنفيذ ذلك الأمر ، كفيل أن يبعث فى النفس سروراً ؛ وإن كنت أتساءل — مع ذلك — عن الموقع الذى تقعه من أذواقنا مشاهد « الجوقة » والمنشدين ، على الوضع الذى عرفه الأغريق ؟! » ...

ذلك ما كان من أمر « كورنى » أما ما كان من أمر « راسين » ، فإنه ما زاد على أن صور الحالة النفسية لعصره ؛ عارضاً إياها على المسرح ، فى ذلك الإطـار ، الـذى أطلـق عليـه اسم « التراجيدى » !...

تبدد إذن على مر العصور ، وتبخر فى رياح الزمن ذلك « الشعر الدينى » الذى جعل من المأساة الأولى صراعا ، بين الإنسان وبين ما هو أكثر من الإنسان !... لعل هذا من بوادر النهضة العلمية فى ذلك القرن !...

مهما يكن من أمر الباعث ، فإن الشعراء والناس قد تغير إيمانهم فأمسوا يعتقدون أن لا شىء غير الإنسان ، فى هذا الكون ؛ بدولته ، وحكومته ، وساسته ، وسلطته !...

با نطفاء هذا الشعور الدينى لا أمل فى رأيى لقيام « التراجيديا » ولعل هذا هو السبب فى موت « التراجيديا » فى عصرنا الحاضر !.. ما من شاعر واحد فى العالم اليوم ، استطاع أن يؤلف « تراجيديا » واحدة لها قيمة وبقاء ، إلى جانب ما سلف من المآسى ، ذلك أنه ما من

مفكر اليوم فى العالم الغربى يؤمن حقاً بوجود إله آخر غير الإنسان نفسه !...

لقد كان آخر العهود بـ « التراجيديا » ؛ كما يجب أن تفهم ، هو القرن السابع عشر ؛ فإنه على الرغم مما ذكرنا عن « كورنى » و « راسين » فقد كانت لهما على الأقل من الإيمان الدينى بقية ، هى التى استطاعت أن تلقى فى أعمالهم تلك الجمرة من الحرارة العلوية ، وإن صلة « راسين » بطائفة « الجانسنست » الدينية ، والشروح التى فسر بها النقاد بعض مآسيه ، وخصوصا « فيدر » على ضوء تعاليم تلك الطائفة ؛ — لمن الأمور التى أفاض فيها تاريخ الأدب !...

وما من حاجة فيما أظن إلى الحديث عن مآسى « فولتير » !... فهذا الساخر المتشكك ، ما كان فى قلبه إيمان بغير عقله ، وما كان يرتد بنظره إلى الإغريق ، بقدر ما كان ينظر إلى « شكسبير » !.. إن « فولتير » ليس إلا الممهد للعقلية الفنية الحديثة ، والنموذج الأول ؛ للمفكر الغربى ، والمؤلف الأوربى ، فى وضعه الحالى !..

فى هذا الجو ، من القرن الحاضر ، الخالى من سماته ذلك الشعور الدينى بمعناه الغابر ؛ — كنت أقرأ وأشاهد « التراجيديا » وأدرك بحاسة خفية جوهرها الحقيقى !...

ما السر ؟...

ما من سر عجيب على الإطلاق ؛ كل ما فى الأمر أنى شرقى عربى ،

لم أزل محتفظاً بقدر من إحساسى الدينى الأول ، لم أجتز ما اجتازته العقلية الأوربية ، من تلك الفترات التى سبق ذكرها ، موقفى أمام « التراجيديا » الإغريقية ، موقفُ مفكر عربى ، فى القرن الثالث الهجرى ...

بهذا الإحساس عدت إلى مصر ، و لم يمض قليل حتى كتبت قصة « أهل الكهف » ، كان ذلك فى عام ١٩٢٨ م ، وكان « جوق عكاشة » قد اختفى نهائياً من الوجود ، فلم يقم فى ذهنى خيال مسرح بعينه ، ولا ممثل بالذات ، و لم أجد ما أبثه عملى غير الورق ، وعندما يعوِزُ الكاتب مسرح ، ينهض عليه أفكاره ؛ — فإنه يقيم فى الحال مسرحه بين دفتى كتاب !... كان الذى قصدته من وضع « أهل الكهف » ، هو إدخال عنصر « التراجيديا » فى موضوع عربى إسلامى ، « التراجيديا » بمعناها الإغريقى القديم الذى احتفظت به : الصراع بين الإنسان ، وبين قوة خفية هى فوق الإنسان ، وحرصت على أن يكون منبعى ، لا أساطير اليونان بل « القرآن » ؛ فإن المقصود عندى لم يكن مجرد أخذ قصة من الكتاب الكريم ، ووضعها فى قالب تمثيلى ، بل كان الهدف هو النظر إلى أساطيرنا الإسلامية بعين « التراجيديا » الإغريقية ، هو إحداث هذا « التزاوج » بين العقليتين الأدبيتين ، و لم أشأ أن أصدر هذا العمل ، عند نشره ، بمقدمه حتى لا أكون أنا الموجه لتفكير القارئ ، واللافت لنظر الغير ، فقد كان الذى يعنينى هو أن أرى كيف يقع

هذا العمل من نفوس قارئيه ، بعيداً عن أى توجيه أو إيحاء !... ومهما يكن من أمر التفسيرات التى تناولت ذلك الكتاب ، فإن الذى استقر فى ضمائر أهل الأدب يومئذ هو أن شيئاً ما على أساس ما قد وضع ، ولم يشذ أحد من الأدباء عن اعتبار هذا العمل لونا من الأدب العربى ، مثل أو لم يمثل !...

بهذا تحقق ذلك الغرض الذى أشرت إليه فى مطلع هذه المقدمة وهو أن الأدب العربى استطاع أن يقبل هذا « الأدب التمثيلى » منفصلا عن المسرح ... وهى نتيجة عجيبة ؛ فقد كان لشوقى — كما أسلفت — روايات يعرفها المسرح أولا ، قبل أن يعرفها الأدب فى كتاب يقرأ ... على أن من الميسور أن يلاحظ باحث أن « شوقى » ، فى رواياته التمثيلية لا صلة له على الإطلاق بالإغريق فهو يمضى فيها على نهج شعراء المآسى الفرنسيين . ناسجا موضوعاتها — هو أيضا — حول « التاريخ » و « الحب » كما فى « مصرع كليوباترا » و « مجنون ليلى » ، ولا جدال فى أن الصراع بين عاطفة وعاطفة ، أو بين إرادة وإرادة ؛ — أيسر أنواع الصراع إخراجا أمام النظارة ...

من ذلك تتبين الصعوبة فى أن نبرز روايات يدور فيها الصراع بين فكرة وفكرة على مسرح آخر ، غير مسرح الذهن ، ولكن هذا المسرح الذهنى لا بد منه ، ما دامت هنالك موضوعات ، لا محيص من إبرازها ، تقوم على أفكار مجردة وأشخاص غير مجسدة ، فالصراع

بين الإنسان وبين القوى الخفية التى هى أكثر من الإنسان : مثل « الزمن » . أو « الحقيقة » . أو « المكان » ... إلخ ؛ — لا يمكن تجسيده حتى يلائم المسرح المادى ؛ إلا إذا لجأنا إلى طريقة التجسيد الوثنية ، التى لجأ إليها « إشيل » مثلا عندما جعل « القوة » و « البحر » أشخاصا قائمة تتكلم ، وهو أمر لا أظن العقلية العربية الإسلامية تستسيغه . وهى التى جردت « الله » من كل تجسيد . وأجبرت ذهنها على قبوله ؛ متمثلاً فى « الفكرة » وحدها عارية منزهة عن كل غلاف كثيف خارجى .

على أن « إشيل » نفسه . على الرغم من تجسيده للقوى الخفية قد حشره النقاد فى زمرة المؤلفين ، الذين يقرءون فى مقعد ، خيراً مما يعرضون على مسرح ... وتلك مسألة قد أثيرت . فيما يتعلق ب« شكسبير » أيضاً ... وهو إغراق فى التعنت فيما أعتقد . فلقد قرأت لناقد يدعى « بولنجيه » بحثاً ، فيما يسميه « المسرح فى مقعد » . أعرب فيه عن دهشته لما فى روايات « شكسبير » من روح الكتاب أكثر مما فيها من روح المسرح ! ... كان من هذا الرأى الغريب أيضاً « ريمى دى جرمون » . الذى قال : « ما من رواية ل« شكسبير » إلا وقد خيبت ظنى عند التمثيل ! ...

أمام هذه الآراء قام الناقد « تيبوديه » يقسم المؤلفين المسرحيين إلى فئتين : فئة تتخذ الحياة الإنسانية فى ذاتها موضوع حركتها ونشاطها .

وفئة تجعل من تلك الحياة نغمة فكرية . تلعب بها ! ... فئة تصور « حركة الآدميين » فى الحياة . وفئة تصور « تفكير الآدميين » فى الحياة ! ... والفئة الأولى فى رأيه ، هى التى يسهل عرضها على « المسرح المادى » وهو يدخل فيها « شكسبير » . على الرغم من أنغامه الفكرية فى بعض رواياته ... أما من الإغريق » فهو يدخل فيها « سوفوكل » و « إيروبيد » . بينما الفئة الثانية يدخل فيها « إشيل » .

نخرج من كل هذا على أن موضوع المسرحية هو الذى يحدد دائما نوع المسرح . فإذا قامت الرواية على « حركة الآدميين » كان مكانها « المسرح المادى » وإذا قامت على « حركة الفكر » كان مكانها « المسرح الذهنى »..

وهنا يبدو سؤال : أليس من الممكن أن نعرض على « المسرح المادى » أمام النظارة ، « تراجيديا إغريقية » مدثرة فى غلالة من « العقلية العربية » ، يبدو فيها الصراع بين الإنسان والقوى العليا الخفية ؛ دون أن يتجرد الفكر فيها إلى حد يلحقها بالنوع الذهنى من المسرحيات ؟...

للإجابة عن هذا السؤال عكفت وقتا ؛ ليس بالقصير ، على دراسة « سوفوكل » وانتهيت إلى انتخاب « أوديب » موضوعا لاختبارى !...

لماذا اخترت « أوديب » بالذات ؟... لأمر قد يبدو عجيباً ...

ذلك أنى قد تأملتها طويلا ، فأبصرت فيها شيئا ، لم يخطر قط على بال « سوفوكل » !...

أبصرت فيها صراعا ليس بين الإنسان والقدر ؛ كما رأى الإغريق ، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا ، بل أبصرت عين الصراع الخفى الذى قام فى مسرحية « أهل الكهف » !...

هذا الصراع لم يكن فقط بين الإنسان والزمن ؛ كما اعتاد قراؤها أن يروا ، بل هى حرب أخرى خفية قل من التفت إليها ... حرب بين « الواقع » وبين « الحقيقة » ، بين « واقع » رجل ؛ مثل « مشلينيا » عاد من الكهف ، فوجد « بريسكا » ، فأحبها وأحبته !... وكان كل شىء مهيأ يدعوهما إلى حياة من الرغد والهناء ، فإذا حائل يقف بينهما ، وبين هذا « الواقع » الجميل !... تلك هى « الحقيقة » !... حقيقة هذا الرجل « مشلينيا » ، الذى اتضح لـ« بريسكا » أنه كان خطيبا لجدتها !... لقد جاهد المحبان ؛ كى ينسيا هذه « الحقيقة » ، التى قامت تفسد عليهما « الواقع » !... ولكنهما عجزا بواقعهما الملموس عن دفع هذا الشىء الغامض غير الملموس ، الذى يسمى « الحقيقة » !...

« أوديب » و « جوكاستا » ليسا ، هما أيضا ، سوى « مشلينيا » ، و « بريسكا » . لقد تحابا ، أيضاً ؛ فأفسد ما بينهما علمهما بحقيقة أحدهما ، بالنسبة إلى الآخر !... إن أقوى خصم

للإنسان دائما هو : شبح !... شبح يطلق عليه اسم « الحقيقة » ،
هذا هو باعثى على اختيار « أوديب » بالذات ... لى فيها نظرتى
وفكرتى ، ولكن بقى التنفيذ ... على أى وجه من الوجوه أتناول هذه
« التراجيديا » ؟..

هنا وقعت فى الحيرة زمناً ، فأنا أعرف الجهد ، الذى أمض من
سبقنى فى تناولها من الشعراء والمؤلفين ، على مدى القرون !... فإذا
تذكرت تصور « سنيكا » فى « أوديب » ، وإخفاق « كورنى » فى
« أوديب » وضآلة « فولتير » بالقياس إلى « سوفوكل » فى
« أوديب » ؛ — أصابنى دوار . فإذا تركت أولئك العباقرة من
الشعراء ، والتفت إلى من تناول « أوديب » من الناثرين المعاصرين ؛
وما تعرضوا له من خيبة أو سقوط ؛ — نالنى جزع ، فقعدت حيناً
يائساً متكاسلا ، مؤجلا إنجاز هذا العمل ، حتى نهضت أخيراً أشجع
نفسى ؛ فلأعمل وأخطىء خيراً من أن أجزع وأقعد ، ولتكن لى فى
أولئك المخفقين أسوة ؛ فلأخفق مثلهم ؛ فهم على كل حال قد أدوا
واجبهم ، وإن لهم الحمد مع ذلك ؛ لأنهم تشجعوا وأقدموا
وأخطأوا ، واستطعت أنا الانتفاع من أخطائهم ، لأتجنبها وأولى
وجهى شطر ناحية أخرى ، ربما كان فيها أيضاً نوع آخر من
الخطأ ... فليكن !.. إن أخطاء الفنانين والأدباء لها أحيانا من الفائدة
ما يسمو على الصواب !...

عرفت من الشعراء الأحياء — ممن تناولوا « أوديب » — الشاعر الإنجليزى « بيتس » والشاعر الألمانى « هو فمانشتال » ، والاثنان ما زادا شيئاً على مأساة « سوفوكلس » .

ثم عرفت من الناثرين ثلاثة من الفرنسيين المعاصرين — تناولوا كلهم « أوديب » عن « سوفوكل » . أولهم : « سان جورج دى بوهلييه » ، والثانى « جان كوكتو » ، والثالث « أندريه جيد » !...

أما « دى بوهلييه » فقد قطع قصة « أوديب » ووزعها على مناظر عديدة ، ناهجا فى ذلك منهج « شكسبير » فى مسرحياته،فما إن عرضت على المسرح حتى قال فيها الناقد « لوسيان دوبيش » :

« بينما نجد — عند « سوفوكل » — أن « أوديب » مشغول بالحادثة التى يحركها ويعيش فيها ، فلا وقت عنده للتأمل فى مصيره ؛ — نجد « دى بوهلييه » يتركه وحده طويلا ، يناجى شكوكه وندمه ويقظة ضميره ؛ مثل « هاملت » ، أو « ليدى مكبث » . من العبث أن نذكر « دى بوهلييه » أن لا شىء يفوق فى مأساة « سوفوكل » الخالدة ... تلك القوة الدرامية الكبرى ، المنبعثة من ذلك التكتيل للحركة ، والتكديس للحوادث ، فى تلك الوحدة الوثيقة ، والحيز الضيق !... إلخ » .

لقد انتفعت حقا بهذا الخطأ ؛ فقد كان خطر لى ، أنا أيضا ، أن

أضع قصة « أوديب » فى مناظر عدة ؛ كما فعلت فى « شهر زاد » ، وفى « سليمان الحكيم » ، فوقانى الله شر هذا العمل ، برؤيتى التجربة تخفق على يد « دى بوهلييه » !... أما « جان كوكتو » فقد وضع « أوديب » فى مسرحية متعددة المناظر أيضاً ، سماها الآلة الجهنمية » ، وعرضها على المسرح ، ولم أشاهدها تمثل ، ولم أقرأ لها نقداً ، ولكننى أدركت من قراءتها ، مطبوعة فى كتاب ، أن « كوكتو » فقد تأثر النظرية الإغريقية فى أوديب تأثراً سطحيا ، ولكنه تأثر بـ « شكسبير » هو الآخر تأثراً فنيا ، فجعل روح والد « أوديب » ، تظهر على الجدران كما ظهرت روح والد « هملت » !... عجبا لكل هذا التأثر فى « أوديب » بطريقة « شكسبير » ، دون التأثر بطريقة « سوفوكل » وهو قمة « الفن التراجيدى » المركز ، بلا مراء !...

ويأتى بعد ذلك « أندرية جيد » بقصته « أوديب » ، وقد نحا فيها نحو « سوفوكل » ولكنه جعلنا نشعر ، نحو « أوديب » بجلال لا ينبعث من صلة الإنسان ، بما هو أكثر من الإنسان ؛ — بقدر ما ينبعث من صلة الإنسان بذاته .

لقد استطاع « أندريه جيد » أن يجعل من إيمانه بالإنسان مادة خشوع ، تحل فى النفس محل ذلك الخشوع للقوى الخفية العليا !... إيه يلخص لنا ، بصدق وإخلاص ، كل عقيدة الأوروبى اليوم ، أن لا

شيء في الكون غير الإنسان ، ولا قيمة في الكون لغير الإنسان ، وليس «أندريه جيد» وحده هو المسئول عن هذه العقيدة ؛ فهي موجودة قبله ، بنحو قرن من الزمان ، منذ رأى « بالانش » ، في شخصية « بروميثيوس » لـ« إشيل » : « الإنسان يكون نفسه بنفسه » ؛ بل لقد رأى « إدوار شوريه في أوديب ما رآه « اندريه جيد » ؛ فقد قال شوريه في كتابه « التطور الإلهي من « أبي الهول » إلى « المسيح » » ، الصادر في عام ١٩١٢ م ما نصه :

« أوديب » ليس ملهماً ، ولا متطلعاً إلى الأسرار ، إنه الإنسان القوي المتكبر ، الذي يلقي بنفسه في خضم الحياة بكل ما في رغباته من نشاط ، إرادة المتعة والقوة هي كل ما يسيطر عليه ، وبهذه الغريزة الخالصة استطاع أن يحل لغز « أبي الهول » أو « الطبيعة » ، الذي يلقيه على كل إنسان عند عتبة الوجود ؛ فقد أدرك أن كلمة اللغز هي الإنسان ذاته !... »

هذا نص فكرة « شوريه » ، وهذا ما رآه « جيد » أيضا في « أوديب » ، التي أعتقد أنه لخص بها كل العقلية الأوربية اليوم ... تلك العقلية ، التي نستطيع أن نصعد بها راجعين إلى أيام « فولتير » فهو الذي بدأ يدك حصن الإيمان من القلوب ، بما كان يقذف به الذات العلية من أنواع السخرية ، وإن كان قد تسامح أحيانا ، فترك فكرة « الله » تعيش دون أن يتناولها بالإنكار الصريح ، حتى جاء

« رينان » فى القرن التاسع عشر فجعل يشكك الناس فيما سماه الأفكار العتيقة عن « الله » قائلا : « إن الناس يعيشون على أنفاس عطر ، ينبعث من إناء فارغ !... »

واجتاح « نيتشه » بعدئذ العقول والنفوس ، بآرائه التى أنكر بها صراحة وجود أى عالم خفى ، أو أى سلطان إلهى ، مؤكداً أنه لا يوجد شىء فوق الإنسان ! وأن إرادة القوة فيه هى كل فضيلته وكل فردوسه ، معلنا : « لقد حل الإنسان الأعلى اليوم محل الإله ، إن الإله قد مات !... » على أثر ذلك تصدعت العقيدة الدينية فى النفوس ، فما عاد أحد يؤمن بشىء غير الإنسان !... ذلك هو إيمان أوربا اليوم ، الذى لخصه « جيد » أبرع تلخيص فى قصة « أوديب » وقد انتهى منه إلى انتصار الإنسان ، حتى فى محنته ، على كل القوى الظاهرة والخفية ؛ هكذا يرى الفكر الأوروبى المعاصر « الإنسان » وحده فقط فى هذا الكون . وهو أمر ، وإن أدركه عقلى ، المتابع لتطورات العقل البشرى ؛ — فلا يؤمن به قلبى الشرقى الدينى !... لقد رأيت أنا أيضاً ، فى قصة « أوديب » تحديا من الإنسان للإله ، أو القوى الخفية ، ولقد أظهرت هذا التحدى على نحو أبرز ، ولكنى أبرزت كذلك ؛ فى عين الوقت ، عواقب هذا التطاول ؛ لأنى ما شعرت قط يوما أن الإنسان وحده ، فى هذا الكون !...

هذا الشعور هو أساس عملى كله ، ومن يطالع الثلاثين كتابا ،

التى نشرتها دفعة واحدة ، ربما أحس هذه الفكرة ، تخيم عليها كلها ؛ كما تخيم على مؤلفات « جيد » ، فكرة الإنسان الوحيد فى الكون ، وربما استطاع القارئ المنقطع ، أو الناقد المتخصص ؛ — أن يرى هذه الفكرة ، أو هذا الشعور فى أردية ، وحنايا ، واتجاهات ، لم تخطر لى على بال !...

إن القارئ أو الناقد ، الذى يتتبع فكرة أو اتجاها ، فى مؤلفات كاتب ، لم يعرف بعد فى آدابنا العربية الحديثة ؛ فالنقد الأدبى هنا لم يزل فى طور النقد الصحفى الذى يتناول الكتاب ، منفصلا عن هيكل آثار المؤلف ، وما من ريب فى أنه سيعقب هذه المرحلة طور أرقى ، هو طور « النقد الإنشائى » ، الذى يعكف فيه الناقد على مجموع أعمال مؤلف بعينه ؛ ليستخرج منها فكرة ، وينشئ مذهبا !...

إن شعورى بأن « الشرق » بعيش دائما فى « عالمين » ، على النحو الذى ذكرته فى « عصفور من الشرق » ، هو الحصن الأخير الذى بقى لنا ؛ لنعتصم فيه ضد تفكير « الغربى » الذى يعيش فى « عالم واحد » هو عالم الإنسان وحده ، وشعورى هذا ليس سوى امتداد لشعور فلاسفة الإسلام !...

إن التجديد الجوهرى ، الذى جاءت به الفلسفة الإسلامية ، وأثرت به على أوربا ، فى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ — ليس فى أنها نقلت آثار « أفلاطون » و « أرسطو » ، ولا فى أنها شرحتها وحدها

وفسرتها ؛ — بل فى أنها اطلعت بعدئذ على تفكير « مدرسة الإسكندرية » ، وعلى « الأفلاطونية الجديدة » ، وما اصطبغت به تلك الأفكار من روح دينى فى « عهد المسيحية » الأول ، ثم تناولت كل ذلك ومزجته — على الرغم من صعوبة المزج — ومزجت منطق « أرسطو » بالروح الدينى ، لا كما تلقته من « مدرسة الإسكندرية » بل كما طبعته بالطابع الإسلامى ، بذلك عرفت أوروبا ما سمته « الفلسفة العربية » أو « الإسلامية » أى ذلك المذهب العجيب ، الذى يقوم على عمودين ، ما كان أحد يظن أنهما يقومان جنبا إلى جنب : « العقل » و « العقيدة الدينية » .

ليس غريبا على مثلى إذن أن يحتفظ بآثار تلك الفلسفة ، وأن يراها تتمشى فى دمه على الرغم منه ، فإن اتصالنا بالحضارة الأوروبية كفيل أن يفيدنا ، فى اجتلاب القوالب ، وتجديد الثياب ولكنه غير قدير على اقتلاع الروح ، ولا محو الطابع !...

فأنا أتحرك دائما فى عالمين ، وأقيم تفكيرى على عمودين ، ولا أرى الإنسان وحده فى هذا الكون !... إنى أومن ببشرية الإنسان ، وأرى عظمته فى أنه بشر ، بشر له ضعفه ونقصه ، وعجزه وأخطاؤه ؛ — ولكنه بشر ، يوحى إليه من أعلى !...

هذا هو وجه الخلاف بينى وبين « أندريه جيد » ، ومن سبقوه ممن ألهوا الإنسان ، وجعلوه فى عالم واحد ، رباً لنفسه وللكون ،

حاكما بأمره ، لا يسيطر عليه غير إرادته وعقله !...

ولقد كان « جيد » مخلصا فى إجلاله للإنسان ، وقد وضع « أوديب » ــ فى إطار من التقديس لكبرياء الإنسان ــ ذهب فيه إلى حد الإيمان بهذا الصلف ، والتمجيد لهذا التطاول ؛ ــ إطار جليل ، هز نفسى ، وأمتع ذهنى ، وليس إلى إنكار ذلك من سبيل !..

على أن الجلال الذى أحاط به « أندريه جيد » قصته لم يمنعنى من رفض طريقته فى الأداء ؛ فهو جلال فكرى محض ، يمتع أمثالى من محبى « الفكر المجرد » ولا يرى فيه بأسا أولئك المتذوقون لآثار « المسرح الذهنى » ، ولو أننى تناولت « أوديب » ــ منذ عشر سنوات ــ لجردتها أنا أيضا من كل شىء ، إلا مما أردت أن أصب فيها من آراء ، هكذا فعلت فى عام ١٩٣٩ بقصة « مشكلة الحكم » ، التى وضعتها على أساس « أرستوفان » ، ثم فى قصة « بجماليون » !...

ولكننى اليوم أريد أن ألقى بالا إلى عناصر التمثيلية ، من حيث هى شىء ، يعرض على النظارة ... لقد تساءلت أمام قصة « أندريه جيد » : لماذا لم يحتفظ لمأساة « أوديب » بجلالها المسرحى !... لكأنه قد استل عامدا كل ما فيها ، من قيمة درامية ، بلا موجب أحيانا ، فهذا التحقيق الذى قام به « أوديب » للكشف عن الحقيقة ، هذا التحقيق الذى رأيت فيه ــ أنا المحقق القديم ــ غاية البراعة فى إدارة

دفته ؛ ومناقشة شهوده ، ورأى فيه النظارة على مدى القرون ، مشهدا مسرحيا من أشد المشاهد تأثيرا على النفس ، وتعليقا للأنفاس !... لماذا اختزله « جيد » هذا الاختزال ، واقتضبه وطواه ؛ كما يطوى اللغو من الكلام ، ومضى بفكرته يسير بها إلى العقل صعداً ، دون سند من المواقف المثيرة ؟!...

من الخطأ إذن أن نسمى قصة « جيد » مأساة ، إنه ما قصد قط أن يعرض علينا « تراجيديا » فى جمالها الفنى ، وجلالها العاطفى ، ماذا يمكن أن نسمى عمله هذا إذن ؟...

أغلب ظنى أنه « تعليقات فكرية » على « أوديب » لـ « سوفوكل » أو أنه « تراجيديا ذهنية » ، نزعت منها كل عناصر « التراجيديا المسرحية » !...

لذلك حرصت كل الحرص على أن أحتفظ لمأساة « أوديب » بكل قوتها الدرامية . ومواقفها التمثيلية ، وكان عنائى كله فى أن أعفى كل أثر لتفكير ، يظهر فى الحوار ؛ حتى لا يطغى على الموقف أو يضعف من الحركة ، كان جهدى هو أن أخفى الفكرة فى تلابيب الحركة ، وأن أطوى اللب فى أعطاف الموقف ، على أنى صادفت من الصعاب ما لا أعتقد أنى اجتزته ؛ فلقد تذكرت نصح « سارسى » لنظارة « الكوميدى فرانسيز » أن يرجعوا قبل الحفلة إلى معجم فى « الميثولوجيا الإغريقية » !... لا بد لى إذن من أن ألخص ما جرى لـ

« أوديب » ، قبل بدء المأساة وأن أجرد القصة من بعض المعتقدات الخرافية التي تأباها العقلية العربية أو الإسلامية ، وأن أخرج على قاعدة الوحدة فى الزمان والمكان ، التى تخضع لها « التراجيديا اليونانية » ، خرجت على هذه القاعدة مرغما ، وكان بودى لو احتفظت بها ، ولكنى رأيت جو الأسرة ــ فى حياة « أوديب » ــ أمراً لا ينبغى إغفاله ؛ لأن على محوره تدور الفكرة ، التى من أجلها تخيرت هذه المأساة بالذات ، وجو الأسرة ــ عند « أوديب » ــ لا يمكن أن يجعل خارج البيت . حقا إن حوادث « التراجيديا الإغريقية » تقع دائما فى ميدان عام ، أو فى الهواء الطلق ؛ لأن روح الحياة اليونانية القديمة كان يتطلب ، كما يقول « أوتوموللر » :

إخراج الحركة المسرحية من داخل المنازل إلى الخارج ، فكل هام من الأحداث وكل عظيم من الأمر ، ــ إنما كان يقع عند اليونان فى مكان عام ، وما كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس ، تنشأ فى البيوت ، بل فى الأسواق والطرقات ، مما اضطر شعراء الإغريق إلى ملاحظة تلك التقاليد فى حياة الإغريق ، عندما كانوا ينشئون آثارهم التمثيلية !...

على أنى فكرت ــ رغم ذلك ــ فى إمكان المحافظة على هذه القاعدة ، فى هذه القصة ، ولو أصرَّ على ذلك مخرج مسرحى ، أعطى من سعة الحيلة ، ما يمكنه من إظهار جو البيت وجو الميدان فى آن دون

حاجة إلى تغيير فى المناظر ، أو خروج على قاعدة الوحدة فى الزمان والمكان !...

وبعد ... فإنى لست أدرى ما صنعت بهذه « التراجيديا » ؟...

هل أحسنت بإقدامى هذا ، أو أسأت ؟...

وهل يسيغها الأدب العربى على هذا الوضع ؟...

لقد حاولت ... وهذا كل ما أملك !...

الفصل الأول

(« الملك أوديب » مستندا إلى عمود من أعمدة البهو في قصره ... وهو جامد كتمثال ، يطيل النظر مفكرا إلى المدينة ، من خلال شرفة رحيبة !.. وتظهر الملكة « جوكاستا » بين صغارها الأربعة ، تشير إليهم بالتمهل وتخفيف الوطء !.. بينما تهمس « أنتجونه » ، وهى الكبرى لأمها :.....)

***

أنتجونه : **(هامسة ، وهى تتأمل « أوديب »)** أماه !... ما باله يرسل البصر هكذا إلى المدينة ؟...

جوكاستا : اذهبى إليه أنت يا « أنتجونه » وسرّى عنه : فهو يصغى إليك دائماً !...

انتجونه : **(تتجه إليه بهدوء ......)** أبتاه !... فيم تفكر وحدك ؛ هكذا ؟...

أوديب : **(يلتفت إليها)** ..... أنت يا « أنتجونه » ؟...

(يــرى الملكــة وبقيــة الأبنـــاء) وأنت يـــا « جوكاستا » ؟ ... كلكم ها هنا ... حولى ... ما الذى جاء بكم الآن ؟...

جوكاستا : هذا الهم الجاثم على صدرك يا « أوديب » ... لا تقل لنا إنه الطاعون الذى نزل بالمدينة !... فأنت لا تملك لدفعه شيئا !... ولقد فعلت ما استطـعت ، وأسرعت فى طلب « ترسياس » ليشير عليك بما يوحى إليه اطلاعه على علوم البشر ، وأسرار الغيب !... فيم إذن هــذا الإطراق الطويل ؟...

أوديب : محنة « طيبة » !... تلك المدينة ، التى وضعت مصيرها فى يدى !...

جوكاستا : كلا يا « أوديب » !... ليست محنة المدينة وحدها .. إنى أعـرفك ، كما أعـرف نـفسى ... هنـا لك علـة أخـرى .. فى نـفسك انقبـاض ، أطالـع أثـــره فى عينيك !...

أوديب : انقباض لا أدرى له علة ... لكأن شراً مستطيراً يتربص بى !...

جوكاستا : لا تقل ذلك !... إنما هى آلام الناس ، قد انعكس طيفها على نفسك الصافية ... نحن أسرتك يا « أوديب » ،

علينا الآن واجب التسرية عنك .. هلموا يا أولادنا !... التفوا حول أبيكم ، وبددوا عن رأسه وقلبه هذه السحب القاتمة !...

أنتجونه : أبتاه !... أسألك شيئا ؛ لا تردنى عنه ... قص علينا قصة ذلك الوحش ، الذى قتلته فيما مضى !...

أوديب : أغلب ظنى يا « جوكاستا » أنك أنت الموحية إلى أولادنا ، أن يسألونى ذلك دائما ... لقد سمعوا تلك الحكاية منى كثيراً ...

جوكاستا : ولماذا تضيق بذلك يا « أوديب » ؟... إنها على كل حال صفحة من حياتك ، يجدر بأولادنا أن يُلموا بها كل الإلمام .. إن كل أب بطل فى نظر أبنائه ... فكيف بك وأنت البطل الحقيقى فى نظر « طيبة » كلها ... ومع ذلك فكن على ثقة أن أولادنا هم الذين يتوقون إلى سماعها منك فى كل حين ... انظر إلى عيونهم المتطلعة ، وإلى أنفاسهم المعلقة !...

أنتجونه : أجل يا أبى ... قص علينا ؛ كيف انتصرت على الوحش !...

أوديب : تريدين ذلك حقا يا « أنتجونة » ؟... أوَ لم تسأمى منها بعد ؟.... وأختك وأخواك ؟...

أنتجونة : (**تهز رأسها نافية ، وكذلك الجميع**) لن نسأم أبداً !..

أوديب : (**يتخذ مقعداً ، وأولاده حوله ..**) إذن فاسمعوا .. كان ذلك منذ عشرين عاما !...

جوكاستا : (**وهى تجلس بقربه ....**) منذ سبعة عشر عاما ... فيما أذكر ...

أوديب : نعم ... أصبت ... حدث فى ذلك اليوم ، أنى دنوت من أسوار « طيبة » ...

أنتجونه : من البداية يا أبتاه !... قص علينا من البداية !...

أوديب : ليس لهذا صلة بحادث الوحش ... ومع ذلك فليكن ما تريدون ... أنتم تعلمون أنى نشأت ، مثلكم فى قصر ملكى ... ووجدت مثلكم الحب ، والعطف فى أحضان أب كريم ؛ هو الملك « بوليب » ، وأم رءوم ؛ هى الملكة « ميروب » !... لقد ربيانى وهذبانى ؛ كما يربى ويهذب أبناء الملوك ... إلى أن صرت شاباً جلداً قويا ذكيا !... أحذق الفروسية وأهيم بالمعرفة !... أجل يا « أنتجونه » !... كان لى بريق عينيك ، كنت محبا للبحث عن حقائق الأشياء ... ففى ذات مساء ، علمت من شيخ بالقصر أطلق لسانه الخمر ، أنى لست

ابنا للملك والملكة ، فهما لم ينجبا قط الولد !... وإنما أنا لقيط تبنياه !. منذ تلك الساعة ، لم يهدأ لى قرار ، ولم أقعد عن التفكير لحظة فى حقيقة منبتى ... فغادرت تلك البلاد ، وهمت على وجهى ، باحثا عن حقيقتى ؛ حتى انتهى بى المطاف إلى أسوار « طيبة » !...

أنتجونه : وهنا لقيت الوحش !...

أوديب : نعم ، يا ابنتى !... وكان وحشاً مهولا ... أسداً ...

جوكاستا : له وجه امرأة !...

أنتجونه : وله أجنحة نسر ... إنك تنسى دائما يا أبى أن تحدثنا عن أجنحته !...

أوديب : نعم !... نعم !... كانت له أجنحة ؛ كأجنحة النسر ! وقد خرج على من الغاب !...

أنتجونه : سائراً ، أم طائراً ؟...

أوديب : سائراً ؛ كالطائر ... وفتح فمه ...

أنتجونه : وطرح عليك اللغز !!...

أوديب : نعم !... قبل أن يأكلنى طرح علىّ لغزاً ... ذلك اللغز الذى قيل إنه كان يطرحه على كل من لقيه من أهل « طيبة » ...

جوكاستا : وكلهم عجز عن حله !... فكان يفتك بهم عندئذ ،

ويقتلهم لبساعتهم !... حتى أهلك عدداً كبيراً من أهل المدينة !... أجل يا « أوديب » لقد لبث أهل « طيبة » زمنا ، يتحاشون التخلف خارج الأسوار إلى مغيب الشمس ؛ خوفا من لقاء الوحش !... لقد سموه « أبا الهول » ؛ فلقد ألقى الرعب فى قلوب الناس طويلا ... وكان زوجى الملك « لايوس » قد مات منذ قليل . وتركنى فى عنفوان العمر . أعيش فى برد هذا القصر ... أرتجف فرقا مما يشاع فى المدينة عن « أبى الهول » وضحاياه ... كان أخى « كريون » فى ذلك الوقت هو الوصى على العرش ... فلم يقو على دفع الكارثة ، وهاج الشعب طالبا الحماية من ذلك الخطر ، ثم لم يلبث أن أعلن رغبته ، فى أن يمنح عرش المدينة لمن ينقذها من الوحش !...

أوديب : ليس العرش وحده يا « جوكاستا » ... كانت هنالك مكافأة أخرى أثمن منه ... هى يد الملكة الأرملة ... هذا كله كنت أجهله عندما لقيت الوحش ... لو أنى عرفت ذلك الجزاء الجميل ، الذى كان ينتظرنى ، ترى ماذا كنت أصنع ؟... ربما كان فؤادى اضطرب ، ويدى ارتجفت ، و لم أظفر بالنصر !...

أنتجونه : وكيف مات الوحش ؟...

جوكاستا : عندما حل أبوك اللغز ، الذى لم يستطع أحد حله اغتاظ « أبو الهول » ، وألقى بنفسه فى البحر !... كنت أنا وقتئذ فى قصرى ها هنا ... أتلقى أحاديث الناس عن ذلك اللغز ، الذى يطرحه الوحش على ضحاياه ... ولا أدرى ما هو ؟... فما من أحد عاد إلينا حيا قبل أبيكم ؛ ليخبرنا به .... ولست أكتم عنك الآن يا « أوديب » ... لقد كنت يومئذ أطرح على نفسى أنا أيضا سؤالا ، بل لغزا : ترى من هو الظافر ؟... وهل سأحبه ؟... لطالما صحت من أعماق نفسى فى سكون الليل : « من الظافر ؟ » لا بالوحش ... بل بقلبى !... قلبى الذى لم يكن قد عرف الحب ... رغم زواجى المبكر بالملك الطيب « لايوس » !... لكن ، عندما رأيتك يا « أوديب » وأحببتك أدركت أن لغزى هو الآخر قد حل !...

أنتجونه : كيف طرح عليك « أبو الهول » لغزه يا أبتى ؟...

أوديب : قال لى ، وقد نفش ريش جناحيه : « أيها القادم ... ماذا جئت تصنع ها هنا ؟... فقلت له : جئت أبحث عن حقيقتى ؟... فقال : إليك سؤالا !... إذا عجزت

عن جوابه فإنى أفترسك : « ما هو الحيوان الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى الظهر على اثنتين ، وفى المساء على ثلاث ؟... »

أنتجونه : لا تجب أنت يا أبى ... دعنى أنا اليوم أحل اللغز نيابة عنك ... لقد أجبته هكذا : « أيها الوحش الذى أرعب المدينة ، لن تغلبنى !... إن ذلك الحيوان الذى تسألنى عنه هو « الإنسان » !... فهو الذى فى الصغر يحبو على يديه وقدميه ، وفى الكبر يستوى ماشيا على قدميه ، وفى الشيخوخة يدب على قدميه وعصا !!...

أوديب : الجواب كما ترين ، واضح يا « أنتجونه » وإنى لأعجب كيف فات أكثر الناس رؤيته !... ربما كنا نحمل كثيرا من الأجوبة عما نسأل ، دون أن ندرى أو نرى ..

جوكاستا : لعل الوحش أراد أن يسخر من الإنسان الذى لا يرى نفسه !.. ولكنك أنت رأيت يا « أوديب » وأجبت .. وبهذا أكمدت الوحش ، وأخرسته ، وألقيت بـه فى البحر !.. ودخلت « طيبة » .. فوجدتها تستقبلك ؛

لتجلسك على عرشها ، وتمنحك يد ملكتها .. هكذا جئت إلىّ ، وعشت معى ، وأنجبت منى هذا النسل الطيب الجميل .. وأعطيتنا هذه السعادة !..

أوديب : نعم !.. هذه السعادة التى غمرتنى ، وأنستنى ما كنت خرجت له ، وما كنت أبحث عنه !..

جوكاستا : حقيقتك ؟!.. ماذا يهمنا من أمر هذه الحقيقة ؟.. ما دمنا سعداء !!.. قلت لك كثيرا : إياك أن تظن أنى كنت أوثرك من سلالة الملوك ... إنه لفخر لى ولأولادنا ألا تكون إلا من صفوة الأبطال !...

من أجل هذا أحب أن تروى لصغارنا بطولتك ، وتلقى عليهم درسك فى كل حين !.. بل لست أنكر أنى ، أنا أيضاً ، أحب أن أسمع دائما هذه القصة منك !..

إنها تذكرنى بتلك اللحظات ، التى كان يترقبك فيها قلبى .. قلقا ، مرتجفا ، لا يدرى أتظفر أنت بمفتاحه ، أم يلقى بنفسه فى بحر العدم !...

« أوديب » !... زوجى ! لكأنه كتب لى أن أرى السعادة كاملة ، وأن تراها أنت كذلك بلا شائبة !..

لقد كان لى من « لا يوس » ولد ... ولكن الإله ،

الذى أراد سعادتنا ولا ريب ، أوحى إليه أن ينبذ هذا الولد ؛ لأنه سيكون شؤما عليه .. فدفع به عقب ولادته إلى من يقتله فى الجبل .. وبهذا لم يقم ، بينى وبينك اليوم ، طيف ينغص عليك ما أنت فيه من هناء !!...

« أوديب » !... ماذا بك ؟... لقد عادت السحابة القاتمة ، تخيم على وجهك !!...

أوديب : قلقى على هذا الشعب فى محنته ! لقد ارتعدت وأنت تلفظين كلمة « الهناء » !... أحس شيئا ، يخيفنى الآن من هذه الكلمة !... اسمعوا !.. ما هذا الصوت ؟..

(« جوكاستا » والأولاد يلتفتون إلى الشرفة ....)

أنتجونة : إنهم يهبطون من التلال ، ويفيضون فى الطرقات ، حاملين الأغصان !..

جوكاستا : أجل يا « أوديب » !.. هم أهل « طيبة » آتون ، ولا ريب إليك حاملين أغصان الضراعة !..

(ينظر « أوديب » من الشرفة ، صامتاً بين أسرته .....)

الشعب : (**فى الخارج يصيح** ...) أيها الملك « أوديب » !!..

أيها الملك « أوديب » !!..

صوت : (من بين الشعب فى الخارج ......) أيها الملك الجالس على عرش « طيبة » !!.. إنك ترى الأفواج من شعبك ، يتدفقون رجالا ونساء ، أطفالا وشيوخا ؛ ليرتموا على أعتاب بابك ، رافعين فى أيديهم أغصان الضراعة ، ترتجف فوق أبدانهم الخائرة !... إن المدينة ، كما ترى بعينك ، قد عصفت بها المحنة ... وإن الموت ليطيح بالقطعان فى المراعى ، ويبطش بالأطفال فى المهود !... إن الطاعون يحصد من أنحاء مسكنك الأرواح ؛ وينثر الدمار ... هازئا بقلوبنا الدامية ؛ ودموعنا الجارية !...

« أوديب » !.. يا من أنقذت هذه المدينة ، من « أبى الهول » ؛ أنقذها اليوم من هذا الطاعون !.. إن الشعب الذى نادى بك بطلا ، وأجلسك على عرش هذا الوطن — كى تدرأ عنه المحن — ليطالبك الآن بأن تهب لنجدته ، وأن تنهض لمعونته !..

أوديب : شعبى التعس .. إنى لست نائماً عن آلامكم ولا غافلا ؛ فأنا أتوجع لما أنتم فيه أشد الوجيعة ، ولست ناسيا أنكم رفعتمونى إلى هذا العرش لأحميكم ، وأنكم تنتظرون

منى عملا ينقذكم ... فدعوا لى وقتاً للتفكير ، والتدبير ، والعمل !...

الصوت : (من الخارج ....) أيها الملك !.. استخر الإله !.. ها هو ذا كبير الكهنة يدخل قصرك .. أصغ إليه !..

(يلتفت « أوديب » وأسرته إلى باب البهو ... فيرون « كريون » كبير الكهنة داخلا)

الكاهن : يا « أوديب » !.. جئت أقول لك كلمة وأمضى !.. شعبك يتساقط من حولك ، كما يتساقط الورق عن الشجرة .. وإذا كان فرعك لم تسقط منه حتى الآن ورقة ، فهذا لا يلهيك ، فيما نظن ، عن الرثاء لحال الآخرين !.. ولكن الرثاء وحده لا يكفى .. والأمر — كما ترى — لا ينفع فيه حل الألغاز ؛ ولا فك الأحاجى .. وليس لنا من مخلص إلا الرجوع إلى الإله !..

أوديب : وهل أنا الذى يمنعكم من الرجوع إلى الإله ؟!..

الكاهن : إنك لا تمنعنا !.. ولا تستطيع !.. ولكنك تبحث دائماً فيما لا ينبغى البحث فيه ، وتسأل دائماً أسئلة لا يجب أن تطرح !.. إن وحى السماء عندك موضع فحص

وتنقيب !..

أوديب : لو كان فى يدى التجرد من طبيعتى !..

الكاهن : لا حاجة بك ولا بنا إلى ذلك .. لقد التمسنا من رجل آخر أن يمضى إلى معبد « دلف » ليستخير الإله ، فيما يخلق بنا أن نصنع ، حتى يرفع هذا الغضب عنا !..

أوديب : ومن هذا الرجل الذى أوفدتموه ؟..

الكاهن : هو « كريون » !..

جوكاستا : أخى ؟!..

الكاهن : إنه — فيما نعلم وتعلمون — رجل لا يجادل فى الحقيقة ، ولا يمارى فى الواقع .. ولن يقول للكهان فى معبد « دلف » : أقيموا لى البرهان المحسوس ، على أن هذا الوحى هبط عليكم من الإله حقا ، ولم يهبط من أذهانكم ؟..

أوديب : يسرنى أن يكون « كريون » موضع ثقتكم .. ولكنى لم أفهم بعد عنك : ماذا جئت ترجو عندى !..

الكاهن : كريون لا بد عائدبعد قليل.. فإذا جاء من المعبد بأمر ؛ فهل أنت مستعد « يا أوديب » ؛ أن تنفذ هذا الأمر ، إنقاذاً للمدينة ؟..

أوديب : فهمت الآن ... (بعد لحظة تفكير) أستطيع أن

أجيبك يا كبير الكهنة !... كل ما فيه إنقاذ المدينة لن أحجم عن تنفيذه !...

الكاهن : أنصرف إذن ؛ لأعود إليك مع « كريون » بما يحمله من وحي علوى !...

(يخرج كبير الكهان ، ويبقى « أوديب » فى أسرته صامتين ..)

جوكاستا : (**بعد لحظة** ....) رحمة بنا أيتها السماء ! إنى خائفة !..

أوديب : لا تخافى !!... إنى لست خائفا .. ما من شىء يخيفنى حقاً ، إلا أن أرى خطراً يدنو منك ومن أولادنا ... أما هراء هؤلاء الكهان ...

جوكاستا : لا تقل ذلك يا « أوديب » !... لا تقل ذلك أمام أولادنا .. اعلم أنى مدينة بسعادتى للإله !...

أوديب : أواثقة أنت من ذلك ؟...

جوكاستا : كف عن هذه الأسئلة المشئومة ! إنك لم تعد تثق بشىء ، منذ أن عرفت أنك لقيط !... إنها كانت لك صدمة !... لقد كنت نشأت على حب والدين ، ما شككت قط فى أنهما والداك !... فلما انكشف لك القناع فجأة ، عن زيف ما كنت تخاله حقيقة ، انهارت

ثقتك بالأشياء ! ...

أوديب : (ملتفتا إلى الشرفة ......) صه !... ما هـذا الضجيج ؟!...

الشعب : (فى الخارج يصيح ....) أيها الملك « أوديب » !.. أيها الملك « أوديب » !...

صوت : (فى الخارج بين الشعب ....) هذا « ترسياس » قد أقبل ... استشره ؛ فإنه يوحى إليه من السماء !...

(يدخل « ترسياس » الضرير يقوده غلام)

ترسياس : بعثت فى طلبى يا « أوديب » ؟...

أوديب : نعم !

ترسياس : (وهو يترك يد الغلام ، ويشير إليه بالخروج) هل نحن وحدنا ؟..

(« جوكاستا » تقود أولادها ، وتخرج بهم ......)

أوديب : (وقد رأى البهو يخلو ..) نحن الآن وحدنا !..

ترسياس : أعرف لماذا دعوتني .. وما بى حاجة إلى وحى السماء ؛ لأقرأ ما فى نفسك .. الشعب يطالبك بإنقاذه ، وليس علاج الطاعون هو وحده الذى يثير همك .. ولكنه الخطر القائم حولك .. الكهنة لا يحبون تفكيرك ، ويضيقون بعقليتك ، ويأنسون بمثل « كريون » !..

والظروف فى « طيبة » اليوم تماثل الظروف ، التى فزت فيها بالملك !.. ظروف تلائم الانقلاب ؛ لأن كل محنة تزلزل سواد الشعب ، إنما تزلزل فى عين الوقت قوائم العرش !..

أوديب : وهل تظن « كريون » يستطيع أن يقضى على الطاعون ؛ كما استطعت أنا أن أقضى على الوحش ؟!..

ترسياس : من يدرى ؟.. إن « كريون » ذهب يلتمس الوحى ؛ وعما قليل يعود بما يصدر إليه من أمر !..

أوديب : وأنت يا « ترسياس » ؟.. يا من يؤمن الشعب بأنه ملم بعلوم البشر ؛ محيط بغيوب السماء ... أما من علاج لديك ؛ يزيل هذه المحنة التى نزلت بالناس ؟...

ترسياس : لقد تقدمت بى السن !... وإنه ليجمل بى الآن أن أراقب ما يجرى من بعيد ... امض وحدك فى طريقك ، يا « أوديب » !...

أوديب : تريد أن تتخلى عنى الآن ، وأنت ترى الخطر المقبل علىّ وتعرف الظروف التى ستعصف بملكى ؟!...

ترسياس : لك يا « أوديب » إرادة ، وفى يدك قوة ، وفى عينيك نور ... ماذا تبغى من هرم مثلى ، واهن القوى ، كفيف البصر ؟!...

أوديب : أدرك ما وراء كلامك !... إنى أعرفك يا « ترسياس » !... مثلك لا ينفض يده مما حوله إلا لأمر !...

ترسياس : سأنفض يدى هذه المرة ؛ لأرى ما يحدث !...

أوديب : لترانى أسقط ، كما رأيتنى أرتفع ؟!...

ترسياس : إنها لمتعة كبرى أن أرى ماذا يجرى ، عندما أدع الأمور فى يد القدر !..

أوديب : لن تهنأ بهذه المتعة « يا ترسياس » !.. فإنى أعرف كيف أفسد عليك غرضك .. إنك تحسب زمام عرشى فى يدك .. ولكن قناعك فى يدى .. أمزقه أمام الناس ؛ وأكشف عن وجهك ، عندما أشاء !..

ترسياس : مهلا يا « أوديب » !.. لا تدع الغضب يذهب بصوابك !..

أوديب : كن على ثقة أنى لن أتيح لك اللهو بى ؛ بل إنى لقدير على أن أجعل الناس يلهون بك !..

ترسياس : ماذا تستطيع أن تقول للناس ؟..

أوديب : كل شيء يا « ترسياس » ، كل شيء !.. فأنا لا أخشى الحقيقة .. بل إنى لأنتظر اليوم ، الذى أطرح فيه عن كاهلى ، تلك الأكذوبة الكبرى ، التى أعيش فيها منذ

سبعة عشر عاماً !..

ترسياس : لا تكن مجنونا !..

أوديب : قد أجن فى لحظة .. وأفتح أبواب هذا القصر ، وأخرج إلى الشعب صائحا : اسمعوا يا أبناء « طيبة » !.. اسمعوا قصة رجل أعمى ، أراد أن يهزأ بكم ، وقصة رجل حسن النية ؛ سليم الطوية ، اشترك معه فى الملهاة !.. إنى لست بطلا .. ولم ألق وحشاً لـه جسم أسد ، وجناح نسر ، ووجه امرأة ، يطرح ألغازاً .. هـذا خيالكم الساذج ، أحبَّ تلك الصورة ، وأذاع ذلك الوهم !.. ولكن الذى لقيت حقا هو أسد عادى ، كان يفترس المتخلفين خلف أسواركم ، استطعت أنا أن أقتله بهراوتى ، وأن ألقى جثته فى البحر .. وأن أخلصكم منه .. غير أن « ترسياس » ، هذا الضرير البـارع ، أوحى إليكم — من تلقاء نفسه لا من لدن الإله — أن تنصبوا ذلك البطل ملكا عليكم ؛ لأنه يومئذ ما كان يريد لكم « كريون » ملكا !.. نعم !.. هو الذى أراد ذلك ودبره ، وهو الذى علمنى حل تلك الأحجية ، عن الحيوان الذى يحبو على يدين وقدمين !..

ترسياس : صه !.. صه ! اخفض صوتك !!..

أوديب : وهو الذى أوحى قديما إلى « لايوس » بقتل ابنه فى المهد ، موهما إياه ، بأن السماء هى التى ألهمته أن الولد إذا كبر ، قتل أباه ؛ لأن « ترسياس » ، هذا الأعمى الخطر ، صمم بإرادة من حديد أن يقصى — عن عرش « طيبة » — وريثها الشرعى !.. لقد أراد أن يكون العرش لرجل غريب ؛ فتم له الأمر الذى أراد ...

ترسياس : قلت لك : اخفض من صوتك يا « أوديب » !..

أوديب : أجل .. هذا هو « ترسياس » .. الذى يلقى فى روعكم أنه يقرأ صفحات الغيب ، ويسمع أصوات السماء ، وهو لا يسمع فى حقيقة الأمر ، إلا صوت إرادته ، ولا يطالع إلا سطور حسابه وتدبيره ، لقد شاء — وهو فخور — أن يغير مجرى الأمور ، ويبدل فيما استقرت عليه نظم الوراثة ، وأن يتحدى إرادة السماء ، التى أخرجت من صلب « لايوس » خليفة ؛ ليقيم بيده الآدمية على العرش شخصا ، هو وليد رأسه ، وصنيعة فكرة !...

ترسياس : هدئ من روعك يا « أوديب » !... فما يطفئ مصباح العقل غير عواصف النفس !...

أوديب : أعرفت الآن ما فى يدى أن أصنع بك ؟...

ترسياس : وبنفسك !؟...

أوديب : لست أخاف على نفسى من الحقيقة !... ولو طوحت بى من فوق العرش ... إنك تعرف أن الملك ليس بغيتى !... لقد كنت فى « كورنت » ، مهدى الذى نشأت فيه ، بين أحضان « بوليب » الطيب ، و « ميروب » الرحيمة !... وما كان لهما من مطمع إلا أن يقنعا الناس أنى ابنهما ، وأن يجلسانى على عرشهما ... ولكنى هربت من ذلك الملك !.. باحثا عن حقيقة أصلى !.. لقد هربت من « كورنت » ؛ لأنى لم أطق الحياة فى أكذوبة !.. وجئت هنا .. فإذا بى أعيش فى أكذوبة أضخم !..

ترسياس : لعل الأكذوبة هى الجو الطبيعى ، لحياتك !..

أوديب : وحياتك أنت أيضا .. يا « ترسياس » !..

ترسياس : وحياتى أنا أيضا !.. وحياة كل بشر !.. لا تنس أنك بطل هذه المدينة !.. لأن « طيبة » فى حاجة إلى بطل .. وهى التى آمنت بأسطورة « أبى الهول » !.. فحذار أن تفجع الشعب فى عقيدته !..

أوديب : ما من شىء يرغمنى على الصمت إلا خوفى أن أفجع زوجى وأولادى ، فى إيمانهم ببطولتى !.. ولا شىء

يؤلمنى إلا اضطرارى إلى هذا الكذب الطويل عليهم ! إنى لأتحامل على نفسى ، حتى لا أصيح بهم ، وهم يروون أمامى قصة « أبى الهول » : « لا تصدقوا هذا الهراء !.. إن الحقيقة يا اولادى هى ..

ترسياس : حذار يا « أوديب » !.. حذار !.. ما أشد خوفى أن تعبث أصابعك الطائشة بقناع « الحقيقة » !.. وأن تدنو أناملك المرتجفة ، من وجهها وعينيها !! لقد هربت من « كورنت » ، هائما خلفها ، ولكنها أفلتت منك !.. ولقد جئت « طيبة » تعلن أنك مجرد عن الأصل والنسب ؛ لتكشف للناس عنها .. فابتعدت هى عنك يا « أوديب » .. دعك يا أوديب من « الحقيقة » .. لا تتحدّاها !..

أوديب : ولماذا تتحدى أنت السماء يا « ترسياس » ؟.. أتراك أصلب منى عوداً ، وأمضى عزما ، وأحد بصراً ؟!..

ترسياس : لست أحدَّ منك بصراً يا « أوديب » فأنا لا أرى شيئا .. ولا أبصر فى الوجود إلا إرادتنا .. لقد أردت ، فكنت أنا الإله .. ولقد أرغمت « طيبة » حقا على أن تقبل الملك ، الذى أردته أنا لها .. فكان لى ما أردت ؛ كما ترى ..

أوديب : (بنبرة تهكم ....) اخفض صوتك يا « ترسياس » !..

ترسياس : لا تسخر منى !.. ولا تحسبن — لو صح عزمك ، على تنفيذ وعدك — أنى عاجز عن مواجهة الناس !.. افتح أبوابك إذا شئت .. واخرج إلى شعبك ، وارفع عقيرتك فيه بما تشاء !.. عندئذ تعلم ما سيقول « ترسياس » !..

أوديب : ماذا ستقول ؟..

ترسياس : سأصيح بملء فمى :

« أيها الشعب !.. إنى لم أفرض إرادتى لمجد أطمع فيه ، ولكن لرأى أومن به هو : أن تكون لكم إرادة !.. ما من حقد كان بينى وبين « لايوس » ، وما من ضغن كان بينى وبين « كريون » ؛ — إنما أردت أن أطوى صفحة الملك ، فى هذه الأسرة العريقة ؛ لأجعلكم أنتم تختارون لكم ملكا ، من عرض الطريق ، مجرداً من الحسب والنسب ، لا سند له إلا خدمته لكم . ولا لقب له إلا بطولته فيكم .. ذلك أنه لا توجد ، فى أرضكم — ولا ينبغى أن توجد — إلا إرادتكم أنتم !..

أوديب : أو إرادتك أنت !.. أيها الضرير البارع !.. إنك تعلم أن

الشعب لا يريحه أن تكون له إرادة !.. وهو يوم يراها فى يده ، يسرع فيعطيها لبطل ، من نسج أساطيره ، أو لإله مدثر بغمام أحلامه !.. كأنما هو يضيق بحملها ، ولا يقوى على الاحتفاظ بها ، ويود التخلص منها وطرح عبئها !.. ولكنك رجل أعماك الغرور ، لا تسعى حقا إلى مجد ظاهر ؛ غير أنك تريد أن تكون أنت منبع الأحداث ، ومصدر الانقلابات ، ومحرك القوى ، التى تغير وتبدل ، فى مصائر الناس ، وعناصر الأشياء !... إنى لأرى فيك هذا التطاول المستتر ، وأقرأ فى نفسك هذا الصلف الخفى !...

ترسياس : من حقى أن أتيه قليلا يا « أوديب » !... فأنت لا تنكر أنى قد نجحت ، وما أنت على هذا العرش إلا آية ، من آيات إرادتى !...

أوديب : سئمت سماع ذلك منك !... لقد دعوتك ؛ لأصغى إلى رأيك فى هذه المحنة ، لا لأصغى إلى أنشودة فخارك !... إن موقفك منى اليوم لا أتبينه ... هل أنت معى ؟... هل انقلبت ضدى ؟... لست أرى على أى أساس الآن ، قد أقمت إرادتك !...

ترسياس : ذلك ما سوف تعلمه فى حينه يا « أوديب » !

أوديب : متى ؟...

ترسياس : عندما يأتى « كريون » بذلك الوحى ، من معبد « دلف » ... من حسن الرأى أن أعرف شيئا عن إرادة السماء ؛ قبل أن أشرع فى تكوين إرادتى !.

أوديب : أفى مقدورى أن أعتمد على مؤازرتك لى ، يا « ترسياس » ؟!...

ترسياس : إنه لمن الحمق يا « أوديب » أن تخشى من جانبى أمراً !!...

أوديب : ننتظر إذن ما يأتى به « كريون » !...

ترسياس : دعنى الآن أذهب ... إلى أن يجىء أوان العمل .. ولن أقول لك الساعة إلا هذه : « واجه مصيرك يا « أوديب » .. ولا تخف ... فأنا معك ... »

أوديب : أواثق أنت يا « ترسياس » ؟...

ترسياس : أين غلامى الذى يقودنى ؟...

أوديب : (**كالمخاطب لنفسه**) مصيرى ؟!... ما هو مصيرى ؟...

ترسياس : أين الغلام ؟...

(يتجه « أوديب » إلى الباب ويفتحه ، ويدخل الغلام ، فيقود « ترسياس » إلى الخارج ... أما

« أوديب » فيبقى وحده ويسند رأسه إلى عمود مطرقا ولا تلبث « جوكاستا » أن تدخل وحدها ..... »)

جوكاستا : (**تبحث بعينها فى البهو**) انصرف النبى « ترسياس » ؟.

أوديب : (**يلتفت إليها**) نعم !!...

جوكاستا : عسى أن يكون قد أخبرك بما يزيح هذه الغمة ، ويزيل هذه المحنة !...

أوديب : (**كالمخاطب نفسه**) لا ينبغى أن أعتمد إلا على يدى هذه !... يدى هذه ، التى تعرف كيف تبطش بكل من يتعرض لى ولكم بسوء !... وحشا كان أو بشراً أو إلهاً !...

جوكاستا : لا تهن الإله يا « أوديب » !... أنت مدين له بسعادتنا ... وهو لا يمكن أن يريد بك شراً ... فهو الذى قادك من « كورنت » إلى هنا ... حيث وجدتنى ... وعشنا هذه الحياة الرضية ، وأنجبنا هؤلاء الأولاد البررة !...

أوديب : ما عدت أرى شيئا فيما يكتنفنى من ضباب ! كل ما أعرف هو أن كارثة تهددنى ... من أى جهة ؟... لا أدرى !... من أى يد ؟... لا أدرى !... إنى كأسد فى

غابة ، يحس من حوله شباكا منصوبة ، لا يعلم موضعها ، ولا واضعها !... إنى أتلمس كالأعمى ، وأتحسس !... فلا أبصر شيئاً ، ولا أحدا !... إنما أشم رائحة خطر ؛ يدنو منى !...

جوكاستا : حبك لنا يا زوجى الحبيب ، هو الذى يخيل إليك هذا الوهم ... إن الطاعون لن يدنو من بيتنا !.. ولن يمس أحداً من صغارنا !.. إنما هو وباء آخر ، أرى أنك ناقله إلىّ — ولا ريب — ذلك القلق الذى يثير ساكنك !... أنا أيضا يا « أوديب » ، يملؤنى ذلك الانقباض المروع ؛ حتى لأكاد أشعر كأن شيئا غليظا يخنقنى .. هنا فى عنقى .. فلا أقدر على التنفس ... وأحس كآبة مظلمة تغرق فيها نفسى ؛ كما يغرق ميت فى ظلام قبر !...

أوديب : صه !... لا تذكرى الموت يا « جوكاستا » !!...

جوكاستا : أرأيت كيف يزعجك انقباضى ؟!... كما يزعجنى قلقك وهمك !!.. يحسن بنا يا « أوديب » أن نطرد عنا هذه الأشباح !... ما من ريب أن هذا الجو المشبع بالشقاء حولنا فى هذه المدينة ، قد نشر فى نفوسنا هذه السحب القاتمة المكفهرة !...

أوديب : ربما !...

جوكاستا : مهما يكن من أمر ، فإن من واجبنا التجلد وإظهار البشر ؛ رحمة بأولادنا !...

أوديب : نعم !... أين أنتجونه ؟..

جوكاستا : هذه البنت يا « أوديب » ، تؤمن بك أكثر من إيمانك بنفسك .. لقد تركتها الساعة ، وهى تقول لإخوتها : إنك لا بد منتصر على الطاعون ؛ كما انتصرت على « أبى الهول » ؛ لأن الإله لم يضعك على هذا العرش عبثاً !..

أوديب : (فى شبه همس) ابنتى العزيزة !!..

جوكاستا : إنها تعتقد أن مصيرها معلق بمصيرك ... ولطالما قالت لى : إنها لا ترجو من غدها شيئاً ، إلا أن تعيش فى معبد بطولتك ، وأن ترى الدنيا ؛ كما تراها أنت !... وأن تكون لها عيناك ، تبصر بهما ما فى الحياة من أحجيات وأسرار وألغاز !...

أوديب : (**كالمخاطب لنفسه** ...) وأنا أتمنى أن تكون لى عيناها ، تبصران لى ما فى النفس ؛ من طمأنينة ، وما فى القلب ؛ من صدق ، وما فى الوجود ؛ من صفاء !!...

جوكاستا : (**تتسمع** ... ...) أصغ يا « أوديب » !... ما هذه الضوضاء !...

الشعب : (**فى الخارج يصيح** ... ...) جاء « كريون » !...

جاء « كريون » !...

أوديب : (**ناظراً إلى جهة الشرفة ... ...**) نعم !.. جاء !... ترى ، ما الذى جاء به أخوك ؟...

جوكاستا : (**وهى ناظره إلى وجهة الشرفة ... ...**) لا بد أنه جاء بنبإ سار !... فقد عقد على جبينه إكليلا من الزهر !...

أوديب : (**عند الشرفة ... ...**) وهذا كبير الكهنة معه ... وهما يشقان الطريق ، بين جموع الشعب .. ويشيران إلى الناس بالتحية !...

جوكاستا : إنهما يدلوان من باب القصر ... سأذهب أنا ؛ لأدكم تعكفون على ما فيه صلاح المدينة !...

أوديب : إنى أتحرق شوقا إلى معرفة ما جاء به !... .

جوكاستا : أرجو أن تعلم منه الآن ما يقر فى نفسك الراحة ، ويشيع فيها الهدوء !... (**تنصرف**) .

أوديب : (**فى همس**) نعم !... سأعلم الآن !... (**يدخل « كبير الكهنة » و « كريون »**) .

الكاهن : هذا « كريون » قد عاد من معبد « دلف » ... بقول عظيم ، آثرت أن يقضى به إليك ، فى خلوة يا « أوديب » .. إذا أذنت له فى الكلام !...

أوديب : إنى مصغ إليه ... فليفض إلينا بكل ما لديه !...

كريون : إليك يا « أوديب » ما انتهى إليه علمى ... لقد كشف لنا الوحى عن سر هذا الغضب ، الذى أنزلته السماء بأرضنا ...

أوديب : ما هو هذا السر ؟... أسرع !...

كريون : فساد على هذه الأرض ، يجب أن يزال .. وإلا كان مصيرنا نحن إلى زوال !..

أوديب : أى فساد ؟!..

كريون : إثم يدنس « طيبة » لا بد من محوه !.

أوديب : أفصح !..

كريون : دم على أرضنا قد سفك ، ولا مفر من غسل ذلك الدم بالدم !..

أوديب : دم من ؟ من الذى سفك دمه ؟..

كريون : « لايوس » !!.. قبل أن تأتى إلينا ، كان علينا ملك يسمى « لايوس » !!..

أوديب : أعرف !.. أعرف !... أعرف اسمه و لم أره قط !..

كريون : هذا الملك مات .. مقتولا !..

أوديب : مقتولا ؟!..

كريون : وإن أمر الإله صريح .. يجب أن يقام العدل ؛ وأن يثأر من القاتل !..

أوديب : إذا كان هذا كل ما جئت به فهو حق .. ولكن هذه الجريمة فيما أرى قديمة العهد !!..

كريون : مضى عليها نحو سبعة عشر عاماً !..

أوديب : وهل من الميسور — بعد هذا القدر من السنين — أن نتعقب آثارها ؟.. وأن نميط القناع عن وجه القاتل ؟!..

كريون : قال الإله ابحث تجد !..

أوديب : ليس أحب إلىّ من البحث .. وما حياتى كلها سوى بحث .. وما دام الإله — كما تقول — هو الذى يأمرنى الآن بالبحث والتنقيب ، فلن يجدنى إلا مطيعاً .. أسمعت منى يا « كبير الكهان » ؟..

الكاهن : سمعت .. وأرجو أن تمضى إلى النهاية ، فى بحثك عن القاتل !..

أوديب : هأنذا أبحث من الفور !.. أخبرنى يا « كريون » !.. أين قتل « لايوس » ؟.. أفى قصره ؟.. أم فى المدينة . أم فى خارجها ؟..

كريون : كان « لايوس » قد غادر « طيبة » حاجاً إلى معبد « دلف » ؛ ليستشير الوحى — كما كان يقول — فى أمر ولده الذى أسلمه للموت قديماً بأمر السماء !..

أوديب : (كالمخاطب لنفسه) بأمر السماء ! نعم .. يالـذلك الملك المسكين !.. وبعد ؟..

كريون : ليس هنالك بعد ... إنه لم يعد إلينا ، منذ ذلك اليوم الذى ذهب فيه !...

أوديب : أوَ ما مِنْ شاهدٍ ، رأى أو سمع شيئا : عما وقع له !...

كريون : كل الشهود قد طواهم الموت ... ما خلا واحـداً ، استطاع أن ينجو بجلده ... وما علمنا منه إلا أمـراً واحداً ...

أوديب : ما هو ؟..

كريون : لقد روى أن جماعة من اللصوص قطعوا الطريق على الملك « لايوس » وقتلوه مع حاشيته !..

أوديب : أوَ يجرؤ لصوص ، على مثـل هـذا الاعتـداء ، على ملك ؟!..

كريون : هذا ما روى لنا !..

أوديب : ما أحسب أولئك ، يعتدون على الملك !.. ما لم يكن أحد ها هنا .. قد دفعهم إلى ذلك دفعا ، وحرضهم تحريضا ، ونقدهم على ذلك ثمنا !..

كريون : هذا ما خطر أيضا على بالنا فى ذلك العهد !..

أوديب : ومع ذلك ، ما فعلتم شيئا ؛ للبحث عن القتلة ، أو

الكشف عن اليد ، التي حركت الجريمة ؟..

كريون : لقد كنا فى ذلك الوقت مشغولى البال ، منهوبى الخاطر ، بكارثة أروع : دهمتنا وأقضت منا المضاجع !..

أوديب : أية كارثة أعظم من قتل ملككم ، الجالس على عرشكم ؟!...

كريون : « أبو الهول » .. لقد ظهر فى ذلك الوقت ، يقتل الناس بألغازه خلف أسوار « طيبة » !...

أوديب : نعم !... نعم !... يا لكم جميعا من حمقى !.. كل شيء يتضح الآن لعينى !... إنى أكاد أرى المدبر لكل ذلك ... وأعرف اليد التى حركت ، والإرادة التى دفعت ...

الكاهن : ماذا تقول يا « أوديب » ؟!... أعد — مرة أخرى — ما لفظت شفتاك ؟!...

أوديب : لا شأن لك بما لفظت شفتاى !... إنكم تنتظرون منى عملا ، وتريدون عدلا !... إن قاتل « لايوس » يجب أن يقدم إليكم ... حتى ولو كان فى ذلك ما أكره !... حقا !... لقد أصبتم !... ما كان يخطر لى على بال ، أن قوائم عرشى غائصة فى دماء ملك !.. وما كنت إخال من أراد ذلك ، يبلغ به الأمر حد الجريمة !... لن

أتردد !.. نعم !.. أسامعون أنتم ؟.. لن أتردد فى تسليم القاتل ... لا إنقاذاً لـ « طيبة » وحدها ؛ بل إنقاذاً لضميرى !. يا كبير « الكهان » !.. اذهب ، وأعلن الناس : أنى مبادر إلى تنفيذ ما جاء به « كريون » سأدفع إليهم بالقاتل !..

الكاهن : أتعرف يا « أوديب » من هو القاتل ؟!...

أوديب : ليس من العسير علىَّ أن أعرف الآن ... اذهبا الساعة ، واتركا الأمر لى !.. عجبا !.. ما بالكما قد جمدتما فى الأرض ؛ كتمثالين ؟!...

الكاهن : أواثق أنت من أنك ستقتص من قاتل « لايوس » ؟!..

أوديب : أتشك فى ذلك أيها الكاهن ؟.. مهما يكن قدر هذا الرجل فيكم ، فإنى مسلمه إليكم ؛ لينال جزاء ما اقترفت يداه !.. هذا وعدى الذى لن أرجع فيه أبدا ... مهما يشق على نفسى الوفاء به ... فكل عزيز علىَّ يهون أمام هذه الجريمة الشنعاء !. ومن ذا يطمئن — بعد اليوم — إلى إنسان ، اجترأ على قتل ملك !!... سأكشف عن وجهه القناع ، وأقدمه إلى العدالة ، حتى ولو كان فى ذلك وبال علىَّ ، وهلاك لى !..

الكاهن : معرفتك للمجرم يا « أوديب » قد طرحت عنا عبئاً

ثقيلا !...

أوديب : أى عبء ؟..

الكاهن : عبء الإفضاء باسمه إليك !...

أوديب : أوَ كنتما تعرفان ، أنتما أيضا ، من هو ؟..

الكاهن : كنا نعرف !... فلقد جاء باسمه « كريون » ، فيما جاء به من معبد « دلف » !...

أوديب : أوَ لم تدهشا ، عندما عرفتما المجرم ؟...

الكاهن : كل الدهش يا « أوديب » ... فهو آخر من كان يرقى إليه الظن !...

أوديب : (كالمخاطب نفسه) نعم !... ذلك الرجل الجليل القدر ... الرفيع المكان ... المبجل من كل إنسان !..

الكاهن : إنه لكذلك حقاً !... وإنه ليحزننا أن يكون هو المقترف لمثل هذا الإثم ...

أوديب : حزنى لا يقل عن حزنكما ... ولكن العدالة فوق المراتب !... ودم القتيل يجب أن يغسل بدم القاتل ... كذلك أمرتك السماء يا « كريون » ... وإنى لهذا الأمر مطيع !...

الكاهن : ما كنا نحسبك تطيع أمر السماء ، بهذه السرعة !.. فاغفر لنا ما سلف من سوء الظن بك ... فأنت أعظم

نفساً مما كنا نتخيل ... ولكن ، هل لنا أن نسألك عما أسكتك ، طول هذا الزمن ، عن القاتل ؟...

أوديب : كنت أجهل كل شيء ، عن هذه الجريمة ... حتى اليوم !!...

الكاهن : (ناظراً إلى « كريون ») ماذا تقول يا « أوديب » ؟..

أوديب : لماذا تتبادلان هذه النظرات ؟!...

الكاهن : إنا لنعجب كيف تستطيع أنت أن تجهلها ؟...

أوديب : وما وجه العجب ؟...

الكاهن : أنت يا « أوديب » أوثق الناس صلة بسر الجريمة !...

أوديب : إذا كنتم تقصدون « جوكاستا » فثقوا أنها لا تعلم من أمرها شيئاً ، وإذا كنتم تقصدون صلتى بالقاتل أو المحرض على القتل ، فإنه ليدهشنى كيف أنكم أنتم ما شككتم فيه قط ، طول هذا الزمن ، وهو قائم بينكم موضعاً للثقة ؛ مرجعاً للمشورة !...

الكاهن : وهل كنت تريد أن نرتاب فى هذه الذات الرفيعة بغير دليل ؟ وأن نتهم هذا المقام الجليل ، بغير أمر من الإله ، أو وحى من السماء ؟!...

أوديب : الآن وقد عرفتم وحى السماء ، وانكشف لكم النقاب عن وجه القاتل ، فهاكم قرارى : قد حق الجزاء على

الآثم ، لقد أراد أن يغير بيده المصائر والأقدار ... فلم يقم أمام إرادته شيء ... حتى ولا الضمير !... اذهبوا إليه ولا تحجموا ... وألقوا فى وجهه الاتهام صريحاً ... دون أن تأخذكم من قداسته رعدة ... ولا من جلاله روعة !...

الكاهن : (**ناظراً إلى كريون**) أوَ تأذن لنا فى ذلك حقاً يا « أوديب » ؟!...

أوديب : مرة أخرى تتبادلان هذه النظرات !... ما ظنك بى أيها الكاهن !... أوَ تحسبنى لا أقوى على تنفيذ هذا الأمر ؟... وأنت يا « كريون » ؟... أما عهدتنى قبل اليوم خليقاً بملاقاه الصعاب ، جريئا على مواجهة الحرج !؟...

كريون : ما من أحد ينكر عليك شجاعتك يا « أوديب » !.. لقد واجهت من الخطر ، ما لم يستطعه أحد من أهل « طيبة » !.. وكان لك وحدك الظفر !.. ولكن ، ليس كل الناس مثلك ! إنك تحملنا ما لا نطيق من الحرج ، وأنت تطلب إلينا أن نواجه بالاتهام ذلك المقام الجليل !..

الكاهن : حقا .. لو كان فى الإمكان أن تجنبنا هذا الموقف

الأليم ؛ — لأسديت إلينا يداً ، لا ننساها لك !..

أوديب : تريدان أن أتولى الأمر بنفسى ؟..

الكاهن : نعم !!..

كريون : هذه — ولا ريب — خير وسيلة !... لقد انتهى إليك يا « أوديب » وحى « دلف » ، وعرفت أن اسم القاتل قد غدا معلوما ... وأن القصاص العاجل هو الثمن المرجو لإنقاذ « طيبة » ، فلم يبق أمامك إلا أن توقع هذا القصاص سريعا — بلا جلبة ، ولا ضجيج — وعلينا بعدئذ ، أن نعلن الأمر إلى الناس !...

أوديب : لكم هذا ... ولن يكلفنى ذلك كبير عناء ... ولكن الذى يزعجنى ...

كريون : أسرتك ؟...

أوديب : أسرتى ؟ وما دخل أسرتى هنا ؟!... أجل !... صدقت !... فى الحق ، أرى « جوكاستا » شديدة الإيمان بهذا الرجل !... شأنها فى ذلك شأن الناس جميعا فى هذه البلاد ! وإنها لرنة سوف تكون بعيدة الصدى ، بالغة الوقع ، يوم يعلن اسم القاتل ... ولكن الذى أرجوه منكما هو أن تذكرا ...

كريون : ماذا ؟... ما سوف يترتب على ذلك من آثار ، تتصل

بالعرش ؟...

أوديب : لست أفكر الآن فى ذلك العرش ... وقد لطخته تلك اليد بالدماء !... كلا ... إنما أردت أن تذكرا أن ذلك الأثيم قد ينكر التهمة ، ويرمى موجهها بالزور ، والبهتان ، والتلفيق ، والتزوير !!... وقد يسميها مؤامرة دبرت لهلاكه ؛ من أجل غاية فى النفس !... يحسن أن تبقيا ها هنا ... سأدعوه أنا ... لتخبراه بما كشف عنه الوحى !... وبعدئذ أتولى أنا البقية ...

الكاهن : ستدعو من ؟...

أوديب : قاتل « لايوس » .. إنه ليس بعيداً عن هذا المكان . انتظرا !... سأرسل فى طلبه .

الكاهن : (**ناظرا إلى « كريون »**) « أوديب » !!..

أوديب : عجبا !.. لماذا تتبادلان دائماً هذه النظرات ؟!...

الكاهن : أنت تعلم أنه ليس بعيدا عن مكاننا الآن !...

أوديب : ربما .. لقد كان وعد بالمجىء عند حضوركما .. لكأنه كان يعرف ما ينتظره .. فلقد ألقى فى نفسى الشك ، فيما سيأتى به « كريون » ... ولكنى لن أمهله طويلا ... لا بد من طلبه .. (**يتحرك** ...) .

الكاهن : (**يستوقفه** ...) أين تذهب يا « أوديب » ؟... قاتل

« لايوس » ليس بعيدا عنا !..

كريون : إنه ليس بعيدا عن هذا القصر !!...

الكاهن : إنه ، كما تعلم ، فى هذا القصر الآن .. لم يبعد عنه خطوة !...

أوديب : فى هذا القصر .. الآن ؟.. ماذا تقصدان ؟..

الكاهن : إنك تعرف يا « أوديب » ما نقصد ، ومن نقصد !..

أوديب : قاتل « لايوس » فى هذا القصر ؟...

الكاهن : وفى هذا البهو ... كما تعلم ، ولا ريب !..

أوديب : أفصحا !...

الكاهن : يا للويل !... أوَ كنت تجهل طول الوقت ما نعنى ؟.. من كنت تتهم إذن غيرك يا « أوديب » ؟!!...

أوديب : غيرى ؟!.. ماذا أسمع منك ؟..

الكاهن : عجبا ... أما كنت تعرف أنك أنت يا « أوديب » قاتل « لايوس » ؟!..

أوديب : أنا؟!.. قاتل «لايوس»؟!.. أجننت أيها الكاهن؟!..

الكاهن : لم أجن .. ولكنه الوحى ، الذى جاء به « كريون » من معبد « دلف » !!..

أوديب : الوحى قال : إنى أنا القاتل ؟!...

الكاهن : تكلم يا « كريون » !...

كريون : أجـل !... تـلـك هـي الحقيقـة !... أرويها ؛ كما سمعتها !... ولا أزيد حرفاً على ما سمعت ... هكذا أوحت السماء : « أوديب » هو قاتل « لايوس » !...

أوديب : (**فى ضحكة مغتصبة**) أنـا القاتـل ؟!... أهـذا معقول ؟!...

الكاهن : إنى حقاً لفى حرج شديد !... ولكن !...

أوديب : ومتى قتلت ملككم ، وأنا لم أره ؟... ومتى فعلت ذلك وأين ؟...

الكاهن : لسنا ندرى ... وليس إلينا نحن توجه هذه الأسئلة !... إنما نحن نبلغك ما جاءنا به الوحى !...

أوديب : وحى من ؟... وحى « كريون » ؟... أو وحيكم يا رجال الدين !...

الكاهن : ماذا تقول يا « أوديب » ؟!...

أوديب : يا لها من ألعوبة مكشوفة الستر !... وأحجية مهتوكة القناع !... فى بلد الألغاز والأحاجى !!... يا لكم من حمقى !... لا يستطيع أحدكم ، حتى أن يجيد حبك أحبولة من الحبائل !...

الكاهن : لا تسرف فى مثل هذا القول ، يا « أوديب » !...

أوديب : صه !... إنى أرى الأمر الآن ، فى وضح النهار !... لقد

انكشف القناع حقاً ... لا عن وجه قاتل وجريمة ...
بل عن وجه مؤامره ومتآمرين ... لا تحسبن يا
« كريون » ، وأنت يا « كبير الكهان » ، أنى من
البلاهة حتى أقع فى مثل هذه الشراك ، التى لا يقع فيها
صغار الطير !... أو أنى من الضعف حتى أعجز عن أن
أنزل بكما ، وبكل من يظاهركما ـ فى العلن أو الخفاء
ـ كل لون من ألوان العقاب !...

الكاهن : مهلاً يا « أوديب » !...

أوديب : إنى ما أثبت لكم بعد أنى خليق أن أسمى بطلاً !.. إن
قهرى لِوَحْش ، لن يقاس بذلك البأس ، الذى سأقهر
به الخونة !...

كريون : من هؤلاء الخونة ؟...

أوديب : أنت على رأسهم يا « كريون » !... أيها الطامع فى
عرشى !... لقد غرر بك هؤلاء الكهان ... ولكن
سأجعل ، منكم جميعا مهزلة يضحك منها الناس !...

كريون : « كفى يا « أوديب » !.. إنى أمنعك من أن تتهمنى
بالخيانة !... تذكر أنى شقيق زوجك !... وأنى لا
أوذيك أبداً ، ولا أوذى « جوكاستا » من أجل
مطمع !!... لقد كان السلطان فى يدى قبل أن تقدم

علينا ... فتنزلت لك عنه ؛ طبقاً لمنفعة الشعب ، وطاعة لنصيحة أهل القداسة والإلهام !!...

أوديب : وأنت اليوم تنقض علىّ ، بحجة إنقاذ الشعب أيضا ، وطاعة لنصيحة المحبين لك ، من رجال الدين !...

الكاهن : لا ترسل القول جزافا يا « أوديب » !... إن رجال الدين يعرفون أن عروش الملوك ترفع وتخفض بيد الإله ، لا بأيدى البشر ... وما كان لنا أن نأتى إليك فى هذا الأمر العظيم ، إلا ونحن نعلم أن إلهنا قد أنزل اللعنة على هذه الأرض ، وأنه قد أوحي إلينا أن نزيل أسبابها : ليرفع غضبه عنا ... ولقد وعدتنا أنت بالعون ، وبتنفيذ أمر الإله .. ولقد جئناك به ، ونحن نذوب ألما وحرجا ... وكان عليك أن تتلقى إرادة السماء بإذعان ... لا أن تلقى علينا رعدك وبرقك ؛ لنخفى صوت الحق الذى هبط من أعلى !...

أوديب : صوت الحق ؟!... ما هو صوت الحق ، هذا الذى تسمعونه أنتم ، ولا أسمعه أنا ؟... أليس لى مثلكم أذنان فى رأسى ؟!...

الكاهن : صوت الحق يا « أوديب » ، لا يسمع بالأذن ولا بالرأس ... ولكن ... بالقلب !...

أوديب : نعم ! بمثل هذا الكلام ، أيها الكاهن ، تريد أن تلقى فى روعى أنى بعيد عن سمائكم ... وأنى موضع لعنتها ، ومهبط غضبها !... وأنها إنما أرسلت الطاعون على هذه الأرض ؛ لأنى فيها مقيم !... ولماذا أنا ملعون من الإله ؟... ألأنى لا أتقبل ما تنسبونه إليه ، إلا بعد بحث يرضى عقلى ؟... لو قلتم ذلك وجرؤتم عليه ، لما وجدتم منى اعتراضا ، ولكنكم تقولون شيئا ، يلائم خطتكم المبيتة ؛ تقولون إنى ملعون من السماء ، لأنى قتلت « لايوس » !.. وإن الدم ، الذى دنس « طيبة » ، وابتلاها بالوباء ؛ لا يغسله غير دم القاتل !!... يا لها من مؤامرة !... يا لها من مؤامرة !...

الكاهن : إن الغضب لا شك قد أعماك يا « أوديب » !... لقد بلغناك ما جاء به الوحى فتدبر أمرك !...

أوديب : إن الأمر لا يحتاج إلى طويل تدبير !...

الكاهن : لك من الوقت ما تشاء ... ولم يبق لنا نحن إلا أن ننصرف !...

أوديب : تنصرف ؟!... أوَ تحسب من يتفوه بما تفوهتما به اليوم ، يستطيع أن ينصرف بسلام ؟!...

الكاهن : ماذا تعنى يا « أوديب » ؟...

أوديب : أيها الكاهن !... إنك لم تعرف بعد « أوديب » !..
هذا الذى اجترأت على وصفه بالقاتل ، وزعمت أنه
لطخ أرض « طيبة » بالدماء !... لن تنصرف بسلام
أيها الكاهن ... ولا أنت يا « كريون » !..

كريون : « أوديب » !..

الكاهن : لن ننصرف بسلام ؟!..

أوديب : لم يبق أمامكما غير طريقين : تستطيعان أن تنصرفا إلى أيهما
شئتما : الموت ، أو النفى ؟!!..

الكاهن : (**وكذلك « كريون » فى صيحة** ...) الموت ، أو
النفى ؟!..

أوديب : ليس لخائن ، يتآمر على العرش غير القتل من عقاب !..
ولكننى أمنحكما الخيار ؛ رأفة منى بكما ... وكان
الحزم يقضى أن أكون شديد المراس ... وأن أقتلع
جذوركما من الحياة ؛ كما يقتلع عشب نتن خبيث !...
ينفث فيما حوله الفوضى والفساد ... لقد مضى فى
أمركما حكمى : إما النفى ، وإما الموت !.. النفى ، أو
الموت !!...

الفصل الثانى

(ساحة أمام القصر ... جوقة الشعب محتشدة ...
وقف منها « أوديب » و « الكاهن » و « كريون »
موقف الماثلين بين أيدى قضاء ....)

* * *

أوديب : يا أهل طيبة !!... إنكم الآن أمام جريمة ضد شخصى وعرشى ... اقترفها هذان المتآمران !... ولقد قضيت فيها بالحكم الذى أراه عادلا ... ولكننى لن أنفذ حكمى ، حتى أقوم بتحقيق جرمهما فى حضوركم ... فأنا لا أحب أن يعمينى الغضب عن الحق.!... سأكشف لكم عن وجه الحقيقة بيدى الآن ؛ لتبصروا المجرم سافراً !...

الجوقة : من كان يظن — يا « أوديب » — أن « كريون » و « كبير الكهنة » ، يتآمران عليك ؟!...

أوديب : أنت فى سذاجتك أيها الشعب لا ترى ما ينسج فى الظلام !... ولكننى الساعة ممزق لك الستار ؛ لترى فى

النور تلك الأيدى الأثيمة التى أرادت أن تلطخ عرشك بالإثم والدم !...

الجوقة : الويل لكل من يمس شعرة منك ، أيها الملك !!... نحن لن ننسى أبداً أنك البطل ، الذى أنقذنا من « أبى الهول » !... اضرب أعداءك يا « أوديب » بلا رحمة !... ونحن معك !...

الكاهن : ما أبرعك يا « أوديب » فى تأليب الشعب علينا !!... وزجك بنا فى موقف المجرمين !... وليس لنا من جرم إلا إخبارك بما أوحت به السماء من أمر ؛ لتزيل عن « طيبة » هذا الطاعون !!...

أوديب : مازلت — أيها الكاهن الخائن — تسمى هذه المؤامرة وحيا من السماء ؟!...

الكاهن : لا تغضب يا « أوديب » !... وأنت الذى قلت الساعة : إنك لا تريد أن يعميك الغضب عن الحق !... تمسك بالحلم ، وتوسل بالأناة ، واشرع فى التحقيق الذى وعدت به ... وأسرع فيه ، حتى لا تشغل الشعب به ، عما يعانيه من شقاء !...

أوديب : (**للجوقة**) أترى حقاً أيها الشعب أنى أشغلك بهذا التحقيق عما أنت فيه من شقاء ؟!...

الجوقة : امض يا « أوديب » فيما شرعت فيـه ... واكشف الستار ... فنحن مشوقون إلى رؤيـة مـا وراءه مـن أمور !...

أوديب : أرأيت ــ أيها الكاهـن الآثم ــــ كيـف طـاش سهمك ؟!... تلك هى إرادة الشعب !!...

الكاهن : يا له من ساذج حقاً !... هذا الشعب !... نعم ... هذا الشعب ، الذى يطعم بالخيال لا بالحقائق !... لقد نسى الطاعون الذى يفتك به ... ونسى أنك لم تجد علاجا لإنقاذه ... ونسى وحى السماء ، الذى كان ينتظر مجيئه ... و لم يذكر إلا شوقه إلى رؤية أوهام ، تزعم له أنك رافع عنها الستار !...

أوديب : لا تهن الشعب ، أيها الكاهن !!... إنك ماثل أمـام محكمتـه ... وهـو الـذى سيدينـك ، ويقـرنى على عقابك ، عند ما يرى جرمك عاريا ، وقد جردتك من سرك !...

الكاهن : افعل يا « أوديب » وعجل !... إنك لم تزل البطـل الذى يفتن الناس ، يكشف الأسرار ويحل الألغـاز ، ولكن الشعب سوف يعلم أنى لا أخفى سراً ، ولا أحمل لغزاً !... إنما أردت صادقا أن أستعين بالإله على طرد

الطاعون من أرضنا !... ولقد بلغتك بما جاء به الوحى ... وتلك كل جريمتى عندك !..

أوديب : كلا !.. أيها الكاهن !.. جريمتك أنت تعرفها ؛ كما يعرفها « كريون » !.. ومن يظاهركما فى الخفاء !.. ولئن أتولى أنا عرضها أمام الشعب .. بل أترك لكما هذا الشرف .. حتى لا يقال إنى أسأت النقل ، أو تعمدت التحريف !.. تكلم أنت أيها الكاهن بما لديك .. أو دع شريكك يتكلم !!.. (**الملكة « جوكاستا » تخرج من القصر**) .

الجوقة : (**ملتفتة**) الملكة « جوكاستا » !..

جوكاستا : ألى أن احضر هذه المحاكمة ؟... إن التهمة التى توجهها ، يا « أوديب » ، إلى هذين الرجلين لخطيرة !...

كريون : أتصدقين يا « جوكاستا » أن أخاك « كريون » يطمع فى عرش زوجك ؟!...

أوديب : لست أنا الذى يحاكم أخاك يا « جوكاستا » ... بل الشعب هو المحكمة ... إنما أنا رجل ، يتولى تحقيق الجريمة ... وسترين الآن بعينيك ؛ كما سيرى الناس من حولك ، ما يسفر عنه التحقيق !...

كريون : لقد قضى فى أمرنا بالموت أو النفى !...

أوديب : ولن أرضى بأخف من هذا العقاب أبداً ، لمن يتآمر على العرش !... فهذه مؤامرة لو تمت ؛ لكان من عواقبها النفى — لى أنا — أو الموت !...

جوكاستا : يجب أن يكون الدليل دامغا يا « أوديب » ، قبل أن تنفذ فيهما هذا الحكم الصارم !...

أوديب : ها هو ذا التحقيق يجرى علانية ... أمامك يا « جوكاستا » ، وأمام الناس جميعا ... وسأذهب فيه إلى الأغوار وأنقب فى الأعماق ؛ لأخرج لكم فى نهاية الأمر ، الحقيقة ناصعة لا يشوبها إبهام !!...

الجوقة : امض فى عملك يا « أوديب » !.. فأنت خير من يميط اللثام عن سر الأشياء !...

أوديب : وددت أن يجرى الأمر فى حضور « ترسياس » .. وأنا أعرف منزلته فيكم ... ولقد بعثت فى طلبه ... قبل خروجى إليكم !..

الجوقة : نِعْمَ الذى صنعت يا « أوديب » !... إن وجود هذا الشيخ المقدس ، بيننا الساعة ؛.. لمما يزيد فى اطمئناننا ..

جوكاستا : ما من أحد مثلى يريد أن يدخل قلبه الاطمئنان .. فأنا

أعرف الناس بـ « كريون » .. فهو أخى الذى نشأت معه .. وإن طباعه المستقيمة ، وخلقه السوى ، وضميره النقى ؛ — لمما يلقى فى نفسى الدهش لفعلته !... إنى لا أعرف بعد كيف تآمر ضد العرش !... كل ما انتهى إلىّ ، هو أنه موصوم بهذا الجرم .. ولكننى لست أرى ، كيف أقدم على ذلك ؟!...

أوديب : ستعرفين الآن !... لا من فمى ، ولكن من فمه هو !... (**يظهر « ترسياس » يقوده غلامه**) ..

الجوقة : ها هو ذا « ترسياس » قد أقبل !...

أوديب : أفسحوا له طريقا !...

ترسياس : إنى أعرف لماذا أنتم ها هنا محتشدون !... فحذار أن تسألنى رأيا يا « أوديب » ، أو تطلب إلى كلاما !...

أوديب : لن أفعل ... إنما أردت أن تكون حاضراً هذه المحاكمة، لأن مثلك لا ينبغى ان ينسى فى الأحداث الجسام ؛ — فأصغ إلى ما سيقال الآن ، وافهم ما تنطوى عليه هذه الأقوال من مرمى !...

ترسياس : إنى مصغ يا « أوديب » !...

أوديب : والآن إليكم أيها الناس كيف تآمر هذان الرجلان ؟!...

لقد وعدت أن أترك المتهمين يبسطان الأمر ؛ توخيا للعدل ، ولن أحنث بالوعد ... هلم يا « كبير الكهان » ... تكلم أنت أولا !!...

الكاهن : ماذا أقول ؟... لقد قذفت بنا يا « أوديب » فى هذا الموقف المخجل !... وألحقت بنا وصمة التهمة .. وعرضتنا لأنظار الشعب خونة آثمين ، قبل أن نعرف ما هو ذنبنا ؟!.. ليس عندى كلام غير ما تعرف ويعرف الناس ... لقد ارتفعت شكواكم يا أهل « طيبة » ، من ذلك الطاعون الذى فتك بكم ، فلم نر حيلة لدفعه عنا إلا أن نطلب وحى السماء ... فرأينا أن يذهب إلى معبد « دلف » رجل من بيت الملك ، مشهود له بالحزم فى الرأى ، والصلابة فى الحق ، والاستقامة فى المسلك !.. وكان هذا الرجل هو « كريون » كما تعلمون ... فهل ترون فى هذا العمل بأساً ، أو عليه غباراً ؟...

الجوقة : كلا !...

الكاهن : ولقد ذهب « كريون » إلى معبد « دلف » .. ثم عاد يحمل ما أوحى به الإله من قول فى هذا الطاعون وعلته .. ولم أشأ أن يفضى بما جاء به .. إلا إلى الملك على انفراد .. حرصا منا على حبس الأمر فى أضيق حدوده ، ورغبة منا فى تجنب إثارتكم !...

الجوقة : ما الذى جاء به « كريون » من وحى السماء ؟...

الكاهن : على « كريون » أن يفضى به إليكم ، إذا شاء !..

الجوقة : تكلم يا « كريون » !..

كريون : إنه شىء مُروِّع !.. لا يحق لى أن أذيعه فيكم .. إلا بإذن من « أوديب » !...

أوديب : إنى آذن لك فى أن تقول هنا كل شىء ...

كريون : هاكم ما جئت به .. أنقله إليكم بنصه : « السماء غاضبة ؛ لأن أرض « طيبة » ملطخة بالدنس .. ملكها « لايوس » مات مقتولا .. ولم يثأر بعد من قاتله .. ولن يرفع عن « طيبة » الغضب ، إلا إذا غسل ذلك الدم !...

الجوقة : ملكنا « لايوس » مات مقتولا ؟!..

أوديب : ليس هنا وجه العجب .. أيها الشعب !.. ولكن سلوه عن القاتل ؟..

الجوقة : من القاتل ؟.. من القاتل ؟..

كريون : ثقوا أنه يؤلمنى أشد الألم أن ألفظ اسمه .. وأنى عندما عرفته — أول مرة — أصابنى من الروع ما لا قبل لى بوصفه .. ولكن « أوديب » قد أعماه الحرص والخوف ، فنسى منزلته من نفسى ، ومكانى منه ومن

أسرته ؛ كما نسي غابر أيامي ، التى أنفقتها فى نصرته ..
وخلقى ، الذى يأبى ما رمانى به .. وطبعى ، الذى ينفر
مما توهمه عنى !..

الجوقة : من قاتل « لايوس » يا « كريون » ؟.. من القاتل ؟..

كريون : لا ترهقوا فمى بذكر هذا الاسم العزيز !.. اطلبوا إلى
الملك الماثل أمامكم أن يذكره لكم !..

أوديب : بل اذكر أنت اسمه ؛ بفمك يا « كريون » !..

الجوقة : اذكر لنا يا « كريون » اسم القاتل !..

كريون : هو .. « أوديب » !..

الجوقة : « أوديب » هذا ؟!.. « أوديب » ملكنا ؟!.. هو قاتل
« لايوس » ؟!..

جوكاستا : ماذا أسمع منك يا « كريون » ؟!..

كريون : هكذا أوحت السماء يا « جوكاستا » !..

الجوقة : « أوديب » هو القاتل ؟!.. القاتل هو « أوديب » !..

أوديب : أرأيتم يا أهل « طيبة » ؟!.. كيف دبرت المؤامرة ؟!..
هل تتصورون أنى أقتل « لايوس » ؟!.. وانا لم
أره ؟!.. ألا تذكرون أنى عندما هبطت أرضكم ، كان
عرشه خاليا ، ومكانه مجهولا ؟!.. ولكنهم يريدون أن
أكون أنا القاتل وليحق علىّ بعدئذ الموت . أو

النفى !!... لأنهم يضيقون بحكمى !.. ويكرهون — لغرض فى أنفسهم — أن ألبث فيكم ملكا !..

كريون : أسأل السماء أن تصب علىَّ اللعنة ، لو كان فى نفسى مثل هذا الغرض الخبيث !... وإنى لأقسم ... أقسم أنى ما زدت شيئا ، على ما سمعت ، ووعيت من وحى « معبد دلف » !...

جوكاستا : إلى أن أدلى برأى ، فيما شجر بينكما من خلاف ؟!.. لست أرى فيكما كاذبا ولا باغيا !.. ما من شك عندى فى أن « كريون » قد سمع ما جاء به !.. وقد نقله إليك يا « أوديب » ، وهو خالص النفس ، نقى الضمير !.. ولكن « وحى السماء » ، أرفع مكانا من أن يدركه البشر ، فى كل حين !.. قلما استطاع بشر أن يحسن فهم « الوحى الإلهى » !.. إن إرادة الإله لها من المرامى ، ما لا يتسع له ذهن إنسان !.. فلن يكون إذن لمخلوق سلطان كامل على الغيب ، ولا قدرة كاملة على التنبؤ !.. وفى يدى الدليل : « لايوس » !.. لقد خبَّرته نبوءة : أنه سوف يموت بيد ابنه — ابنه الذى هو من صلبه ، ومن بطنى !... وإخال « ترسياس » ، الحاضر هنا يذكر خبر تلك النبوءة !...

ترسياس : أذكر ذلك أيتها الملكة !...

أوديب : (فى تهكم خفى) حقاً ... إنه خير من يذكر ذلك !...

جوكاستا : ما الذى حدث بعد ذلك ؟... لقد هلك ذلك الابن فى المهد ... فقد دفع به أبوه ، عقب ولادته بأيام ثلاثة ، إلى راع حمله مغلول القدمين ، ليهلكه على جبل أجرد ... أما « لايوس » فقد لقى حتفه ؛ كما تعلمون ، خارج هذه الديار !... سطا عليه ، كما أنبئت يومئذ ، جماعة من اللصوص ، قتلوه فى موضع ناء ، عند ملتقى طرق ثلاث ... هكذا مات الأب ، بيد غير يد ابنه !... فأين ذهبت النبوءة إذن ؟... إن الوحى — كما ترون — لا يصدق فى كل الأحوال .. والسماء لا تهمس بكلامها لكل الآذان !... إنها أحفظ لسرها مما تظنون ... ولغتها لا يفهمها كل إنسان ... وهى تؤثر أن تسفر عن نواياها ، بالأفعال لا بالأقوال ... إن القول هو لغتنا ، نحن البشر ... أما لغة الإله فهى الفعل ... إياكم أن تتخذوا مما جاء به « كريون » دليلا !... إنما هو شىء سمعه ... لا ينبغى أن يكون له أثر ... أو أن يرتب عليه قرار !...

أوديب : أرجو يا « جوكاستا » أن تكون أذنى قد أساءت السمع !...

جوكاستا : لماذا ... ما هذا القلق على وجهك ؟!...

أوديب : لا شىء ... إنما هو الموقف من غير ريب ... وما يثار فيه من غريب الكلام ، وعجيب الاتهام ، قد أوقعنى فى الخلط !...

جوكاستا : أفصح يا « أوديب » !... واكشف عما خالجك .. أترانى قلت شيئا مسك عن غير قصد ؟!... إن كثيراً من الكلمات الجوفاء ، تندس أحيانا ؛ كالغوغاء فى مواكب المعانى !...

أوديب : خيل إلىَّ أنى سمعتك تقولين : إن « لايوس » قتل عند ملتقىْ طرق ثلاث !...

جوكاستا : حقا !... ذلك قلته !...

أوديب : قلت ذلك ؟... قلت ذلك ؟...

جوكاستا : ما ذا دهاك يا أوديب ؟... نعم !.. ذلك ما انتهى إلى علمى فى ذلك الحين !...

أوديب : وأين كانت تلك الطرق ؟ فى أى أرض ؟..

جوكاستا : فى أرض يقال لها « فوكيس » ... حيث يفترق الطريق إلى سبيلين : أحدهما ؛ يؤدى إلى « دوليا » ، والآخر

إلى « دلف » !...

أوديب : وفى أى عهد وقع ذلك ؟...

جوكاستا : كل الناس يعرفون أن ذلك حدث ، قبل جلوسك على العرش بزمن قليل !...

أوديب : أيتها السماء !.. أيمكن أن يكون ذلك حقا !؟..

جوكاستا : ماذا يا « أوديب » ؟... ما الذى يشغل بالك ، ويلقى هذا الاضطراب فى نفسك ؟!...

أوديب : لا تسألينى شيئا ! أخبرينى : كيف كان « لايوس » ؟.. فى أية سن كان ؟...

جوكاستا : كان رجلا فارعا !... فضى الشعر أجعده ! أما وجهه ، ففيه منك بعض شبه !..

أوديب : أترى حقا لعنة السماء قد صبت علىّ !؟...

جوكاستا : ما هذا الذى تقول يا زوجى ؟!... إنك لتخيفنى !..

أوديب : أترى فيما جاء به الوحى بعض الحقيقة ؟!... أخبرينى أيضا بشىء أخير ... حتى لا يبقى فى نفسى خلجة شك !...

جوكاستا : إنك تفزعنى !... سأفضى إليك بكل ما وصل إلى علمى !!..

أوديب : كيف كانت حاشية « الملك لايوس » ؟.. كم كان عدد

حراسه ؟..

جوكاستا : لم يكن يحرسه فى رحلته أكثر من خمسة رجال .. ورائد فى الطليعة .. ولم تكن هنالك غير مركبة واحدة ، ركب فيها الملك !..

أوديب : كفى يا « جوكاستا » !.. كل شىء اتضح لعينى الآن واستبان .. لكن .. من الذى أخبرك بكل هذا ؟..

جوكاستا : خادم !.. هو الوحيد ، الذى عاد حيا ، من ذلك السفر !!..

أوديب : ألم يزل قائما بالخدمة هنا ؟..

جوكاستا : كلا !.. لقد سألنى أن أعفيه ، من خدمة القصر ، عندما رآك قد حللت فى مكان سيده ، وجلست على عرش ملكه .. ولقد ذهب فيما أعلم إلى البرية ؛ ليعمل راعيا ، بعيداً عن هذه المدينة !..

أوديب : أنستطيع إحضاره فى الحال ؟..

جوكاستا : نستطيع .. ولكن لماذا تريد ذلك ؟..

أوديب : آه .. يا زوجتى العزيزة ! أخشى أن أكون قد بحت بأكثر مما يجوز .. يجب أن أرى ذلك الرجل أولا ..

جوكاستا : ستراه !.. ولكن ! ألا يحق لى يا « أوديب » أن أعرف ذلك الذى يشيع فى نفسك ، كل هذا القلق

والاضطراب ؟!..

أوديب : ستعرفين !.. أرسلوا فى طلب الراعى !..

الجوقة : لينطلق أحدنا ؛ أرسلوا فى طلب ذلك الراعى !..

الجوقة : لينطلق أحدنا ؛ كالريح إلى البرية ، فى طلب الراعى !..

(يجرى بعض الحاضرين من الشعب ، إلى الخارج) .

جوكاستا : ما الذى تريد أن تعلم منه يا « أوديب » ؟..

أوديب : هذا الراعى هو أملى الوحيد !.. أرجو أن أسمع منه قولاً ، يخالف ما تفوهت أنت به !..

جوكاستا : يخالفه فى أى موضع ؟!..

أوديب : لقد قلت إن القاتل جماعة من اللصوص .. وإنه هو الذى ذكر لك ذلك .. لابد لى من سماع شهادته ؛ ليجلو هذا الأمر المهم : أكان القاتل جماعة حقا ، أم كان فرداً واحداً ؟!.. على هذه الشهادة يتوقف الحكم ويتقرر المصير !..

جوكاستا : مصير من ؟.. مصير من يا « أوديب » ؟.

أوديب : مصيرى !.. هنالك شىء أخفيته عنك يا « جوكاستا » .. كما أخفيت أنت عنى خبر هذه الظروف التى مات فيها « لايوس » !..

جوكاستا : إنى لم أخف عنك شيئا ... تلك تفصيلات ما كانت

تخطر على البال إلا أن يدعونا إلى ذكرها داع ، أو يدفعنا
إلى تقليبها دافع ، وما هى بعد بالموضوع الذى يجمل بى
أن أحادثك فيه بلا ضرورة !...

أوديب : أنا أيضا ما تعمدت إخفاء شيء !... ولكنها حادثة
عبرت ، ما علقت عليها أهمية فى حينها ، وما ألقيت إليها
بالا ؛ لأنى ما عرفت شخص من قابلت ...

جوكاستا : من قابلت يا « أوديب » ؟

أوديب : رجل فى مركبة ... يحرسها نحو خمسة رجال ...
اعترضونى فى أرض « فوكيس » ... فى مفترق الطرق
بين « دوليا » و « دلف » ... فنشب بيننا خلاف فيمن
يمر أولا ... وتطور الخلاف إلى شجار ... ودفعتنى
حماسة الشباب يومئذ وفورته ؛ إلى العنف ، فرفعت
هراوتى فى وجه الرجال واشتبكنا فى معركة ... ظهرت
فيها عليهم ، ولكن ضربة من هراوتى ، فيما يبدو ،
طاشت فأصابت رأس من كان فى المركبة ... وانطلقت
أنا بعدئذ فى سبيلى حتى دنوت من أسوار « طيبة » ،
ولقيت الوحش ... وكان من أمرى ما تعلمون ؟...
فإذا كان ذلك الرجل صاحب المركبة هو ملككم
« لايوس » ... فأنا إذن ضاربه وقاتله !...

جوكاستا : إلهى !... إلهى !...

أوديب : ولكنى كنت بمفردى ... وأنتم تقولون : إن قاتل « لايوس » جماعة من اللصوص ... لا بد من إيضاح هذا الأمر ... قبل أن أصدر فى نفسى حكما !..

الجوقة : (تلتفت) ها هو ذا الراعى ، قد جاءوا به !...

(يدخل بعض الناس ممن ذهبوا فى طلب الراعى ، وهم يقودون شيخاً هرماً)

أحد الناس : ما كدنا نخطو قليلا ، حتى صادفناه مقبلا ؛ فقد بلغه — فيما قال — خبر المحنة ، فجاء يصلى مع أهل « طيبة » ، ويضرع معنا إلى السماء ؛ كى تذهب عن أرضنا هذا الوباء !...

الجوقة : يا له من شيخ هرم !!...

أوديب : ادن منى أيها الرجل !... وأجب عما أطرحه عليك من أسئلة !.. أكنت فى خدمة الملك « لايوس » ؟..

الراعى : نعم !.. وفى بيته ولدت ، ونشأت !..

أوديب : وماذا كان عملك لديه ؟..

الراعى : أرعى ماشيته !..

أوديب : أتذكر كيف قتل « لايوس » ؟..

الراعى : ذاك حادث قديم !.. وقد ضعفت منى الذاكرة !.

ووهن الذهن !..

أوديب : تذكر !.. تذكر !.. من قتل « لايوس » ؟..

الراعي : قتله — فيما أذكر — فتى قوى جلد !..

أوديب : كيف ؟..

الراعي : زحم مركبة الملك عند مفترق الطرق ، بين « دلف » و « دوليا » ... وقام شجار بينه وبين الحراس من الحاشية ، فتغلب عليهم ، وقتلهم ، وأصابت ضربة منه رأس الملك فأصمته ومات !... وهربت أنا بجلدى من المعركة .. ولم ينج غيرى !.

أوديب : أما كانوا جماعة هم الذين اعتدوا على الملك ؟..

الراعي : كلا يا مولاى !.. كان رجلا فردا ...

أوديب : لقد انجلى الآن كل شىء لى ولكم ، وانحسر النقاب عن وجه القاتل .. صدقت يا « كريون » !... وصدق الوحى الذى جئت به من « معبد دلف » !... ألتمس منك المغفرة ! ومن كبير الكهنة ؛ فقد أثمت بسوء ظنى فيكما ، وبتوجيهى إليكما ذلك الاتهام الباطل !.. قاتل « لايوس » بين أيديكم !.. أيها الناس ! لن أحاول دفاعا عنه ، فاحكموا فيه بما ترون ... وأنزلوا به ما يستحقه من عقاب.!...

جوكاستا : « أوديب » !... « أوديب » !... لا تسرف هكذا ، في اتهام نفسك !... فأنت لم تتعمد القتل ... ولم تكن تعرف من المقتول ؟!...

أوديب : لا تدافعي عني يا « جوكاستا » !.. فأنت بضعة مني .. وما يحسن بنا أن نقيم من أنفسنا ، مدافعاً عما اجترحنا من ذنوب !..

جوكاستا : ما دمت تأبى عليّ وعلى نفسك هذا الحق ... فها هنا « ترسياس » ، يتولى عنك الكلام !..

ترسياس : إذا احتجت إليّ يا « أوديب » فأنا منك غير بعيد !..

أوديب : كلا !.. بل ابق في مكانك يا « ترسياس » !.. ولا تتدخل!.. امري بيّن!. لقد ارتكبت جريمة ونسيتها.. ولكن السماء لم تنسها .. إنها تريد الآن الثمن !... وتطالب بالجزاء !... ومهما يشك « العقل » في حقيقة الصلة ، بين تلك الجريمة ، وهذا الوباء ؛ — فإن الشرف ، لا يشك في حقيقة الواجب ، الملقى على كتفي !... وواجبي الآن هو أن أتخلى عن عرش رجل ، مات بيدي !...

جوكاستا : مات بيدك ؛ على كره منك !... ما أحسب السماء تطالبك فيه ، بهذا الثمن الفادح !...

أوديب : (كالمخاطب نفسه) إن السماء لا تظلم أبدا ؛ لأنها ميزان لا يعرف الخلل ، ولا الميل ، ولا الانحراف ولا الهوى !... وما نراه منها جورا ، — ليس إلا عجزنا عن رؤية ما توارى فى الضمائر ، ولهونا عن تذكر ما علينا من حساب !... إنها تضيف إلى الذنب الظاهر وزر الذنب الخفى !... لقد كذبت على الشعب !.. لقد خدعت الشعب !...

ترسياس : (صائحا مقاطعا) كفى !.. كفى !..

(يظهر عندئذ شيخ أحنى ظهره الهرم)

الشيخ : (صائحا) أيها الناس !...

الجوقة : (تلتفت) من هذا الشيخ الصاعد من البرية ؟!..

الشيخ : دلونى على قصر « أوديب » !...

الجوقة : هذا هو قصره أمامك !... من أنت أيها الغريب ؟.. وماذا تريد ؟..

الشيخ : أنا رسول من « كورنت » ... جئت برسالة إلى « أوديب » !..

أوديب : ها أنذا أيها الرجل !.. اقترب !.. ما خبرك ؟...

الشيخ : خبر سار !.. وإن كان فيه ما قد يثير فيك بعض الشجن !..

أوديب : تكلم أيها الرسول !.. وأخبرنا بما تحمل إلينا من نبإ !...

الرسول : أهل « كورنت » يهدون إليك التحية ، ويسألونك أن تكون عليهم ملكا !...

الجوقة : ملكا !... على أهل « كورنت » ؟!

جوكاستا : يا للسماء !... التى تقطع وتصل !... أرأيت كيف تظلم نفسك يا « أوديب » !... لقد أردت التخلى عن عرش « طيبة » ... فها هو ذا عرش يأتيك من السماء !...

أوديب : (للرسول) وأين ذهب ملككم « بوليب » ؟...

الشيخ : مات وثوى فى التراب !...

أوديب : « بوليب » مات ؟... كيف ؟... أبمرض مات ، أم بحادث عرض ؟...

الشيخ : بمرض الشيخوخة !...

أوديب : لن أنسى أبداً أنه كان لى ، فى مكان الأب الرحيم !.. وماذا جرى للملكة « ميروب » ؟...

الشيخ : لقد أقعدها الكبر !... وهى فى طريقها إلى اللحاق بزوجها !...

أوديب : لقد أحبتنى هى الأخرى ؛ كما لو كانت لى أما ... يا لهما من بارين كريمين !... إنى لأذكر فجيعتهما ، يوم

أخبرتهما بكشفى حقيقة الصلة ، التى تربطنى بهما ..
وأنى لست سوى طفل لقيط تبنياه .. لقد حاولا
جاهدين أن ينتزعا من رأسى هذه الحقيقة !.. ولكنى
أبيت أن أقبل حنانهما ؛ كما تقبل الصدقة !... أرجو أن
يكونا قد نسيانى ، بعد فرارى من « كورنت » ، وأن
تكون الأيام قد شغلتهما عنى !...

الشيخ : كلا !... لم ينسياك !... ولقد أرسلا خلفك ، — فى
ذلك الحين ، من يبحث عنك ، ولكنك اختفيت ...
لقد مات « بوليب » وهو يذكر اسمك ... ويوصينى
أن أجدَّ فى البحث عنك ، وأن أعرض عليك من بعده
الملك !...

أوديب : وكيف عرفت أنت مكانى ؟...

الشيخ : خطر لى ، آخر الأمر ، أن أبحث عنك فى مسقط
رأسك !.. فسرت قدما إلى « طيبة » فلما دنوت من
أسوارها ، علمت أنك أنت اليوم ملكها !...

أوديب : ومن قال : إن « طيبة » هى مسقط رأسى ؟!...

الشيخ : إنى أعرف ذلك ؛ لأنى أنا الذى التقطتك ، وأنت
طفل ، وسلمتك إلى « بوليب » !!...

أوديب : أنت ؟!...التقطتنى ؟! أيها الشيخ ؟!...

الشيخ : فى جبل ذى شجر ... بالقرب من « سيتايرون » !...

أوديب : وماذا كنت تصنع هناك ؟...

الشيخ : كنت أرعى الماشية !...

أوديب : وكيف وجدتنى ؟...

الشيخ : تلك الندوب التى فى قدميك تخبرك !...

أوديب : حقاً !!... تلك ندوب قديمة ، نشأت عليها ، وما أخبرنى أحد قط بشىء عن أمرها ، وسرها ، ومنشئها !...

الشيخ : إنها من قيد !... لقد كنت مقيداً من رسغيك !... وأنا الذى فكّ قيدك !... لهذا سميت « أوديب » أى مورم القدمين !...

أوديب : يا للسماء !... ومن ذا الذى كان قد فعل بى ذلك ؟!... أهى أمى التى ولدتنى ، أم أبى الذى لفظنى ؟!...

الشيخ : لست أدرى من ذلك شيئا ... سل ذلك الذى سلمك إلىّ !...

أوديب : سلمنى إليك ؟!... أو لست أنت إذن الذى عثر بى ؟!...

الشيخ : بل راع آخر !... هو الذى عهد بك إلىّ ، ووضعك فى يدى ... على تلك الصورة !...

أوديب : راع آخر ؟... من هو ؟! ... أتستطيع أن تخبرنا من كان ذلك الراعى ؟!...

الشيخ : أذكر أنه قال لى فى ذلك اليوم : إنه من رجال « لايوس » ...

أوديب : « لايوس » ؟!... ملك « طيبة » السالف ؟!...

الشيخ : أجل ... الملك « لايوس » ... لقد قال لى ذلك الراعى إنه من خدامه !...

أوديب : خدامه كثيرون من غير ريب ... أوَ لم يزل حياً ، ذلك الخادم الذى تعنيه ؟... أفى إمكانى أن أراه وأسأله ، وأعلم منه ؟...

الشيخ : هذا أمر يجيبك عنه أهل « طيبة » !...

أوديب : أيها الناس !... خبرونى !... ألم يسمع أحدكم شيئاً عن ذلك الخادم الذى نتحدث عنه !... أما من واحد منكم ، رآه فى المدينة ، أو فى المروج ؟... فليتكلم منكم من يعلم !... لا تلزموا الصمت !.. ها نحن الآن أولاء ، قد وصلنا إلى مفتاح السر ... سر مولدى !... سر حقيقتى !... الذى طالما نقبت عنه ، وجريت خلفه !...

الجوقة : سل الملكة « جوكاستا » ... فربما كان لديها علم بأمر

ذلك الخادم ، فى بيت « لايوس » ؟!...

أوديب : زوجتى العزيزة !... ألا تعلمين شيئا عن ذلك الخادم ؟...

جوكاستا : (شاحبة الوجه) أى خادم تتحدثون عنه ؟... لست أعلم شيئا .. ولا ينبغى أن نعلم .. إنك يا زوجى كثير الإصغاء إلى كل ما يقال .. دع هذا الأمر ، وأغلق هذا الباب ؛ فلن تظفر من ورائه بطائل !...

أوديب : عجبا يا « جوكاستا » !.. كيف أغلق هذا الباب ، وقد بدأ يتفتح عن السر الذى أتوق إلى معرفته ؟!..

جوكاستا : لا .. لا يا « أوديب » !.. لا تحفر كل هذا الحفر بحثا عن سر ... إنما أنت تحفر الآن قبر سعادتك !. أتوسل إليك أن تكف .. إنى خائفة .. إن لعنة أبدية تتجمع لتنقض على رءوسنا ... بحق السماء كف يا « أوديب » ؟!...

أوديب : لا تخافى !.. لقد قلت لى يوما : إنك لا تحفلين بحقيقة مولدى !.. فلأكن ولدت من صلب عبد ، من عبيدك الأرقاء ... فهل هذا يخيفك ؟.. أو يورثك من الخجل ما يذل نفسك أو يسحق كبرياءك ؟.. سأمضى فى بحثى عن حقيقتى ... تلك رغبة أقوى منى ... ولا يستطيع

أحد أن يحول بيني وبين رغبتي ، في أن أعرف من أنا ..
ومن أكون ؟!..

الجوقة : امض في طريقك ، أيها الملك العظيم !.. واكشف الستار عن مولدك !.. فمهما يكن أصلك ومنبتك ؛ فنحن بك فخورون !..

أوديب : لا أريد أن أعيش في ضباب ... حتى ولو كان له الملك ثمنا ... لقد تركت « كورنت » وعرشها بحثا عن الحقيقة .. والآن — وقد كدت أضع يدي على مفتاحها — أحجم ، وأتراجع ، وأكف ؟!. لن يكون ذلك أبدا !... لن يكون ذلك أبدا !!.

الجوقة : (**تلتفت إلى الخلف**) ما لهذا الراعي خلف الصفوف ، يتسلل كمن يريد الهرب ؟!..

أوديب : أي راع ؟!..

الجوقة : ذلك الذي كان في حاشية « لايوس » !..

أوديب : أمسكوا به وأحضروه !.. لا بد أنه يعلم شيئا ..

(يدفع بعض الناس الراعي إلى حيث يقف « أوديب » ....)

الجوقة : لماذا تهرب أيها الراعي ؟..

الراعي : لم أهرب .. ولكني ما رأيت موجبا لبقائي !..

أوديب : ما انصرافك هكذا إلا لعلة ... سنعرفها الآن ... وربما كنت تعرف من نطلب ...

الراعى : لست أعرف أحداً ... ولا شيئا ...

أوديب : اقتربوا به أولا من رسول « كورنت » ... وأنت أيها الرسول ، تفرس فى وجهه جيداً ... فربما أدى ذلك إلى أمر ... (**يدفع بالراعى إلى جوار الشيخ**)

الجوقة : (**تنظر إلى الرجلين**) شيخان هرمان لكأنهما فى عمر واحد !...

الشيخ : (**صائحا بعد أن يحدق فى الراعى**) هو بعينه ... هو بعينه !...

أوديب : من ؟... من ؟...

الشيخ : الراعى الذى سلمنى الطفل !..

أوديب : أسمعت أيها الراعى ؟...

الراعى : لست أفهم شيئا مما يقول هذا الشيخ !..

أوديب : أما سبق لك أن لقيت هذا الشيخ فى بقعة من البقاع ؟!..

الراعى : لست أذكر !!..

أوديب : وكيف استطاع هو أن يذكر ؟..

الشيخ : دعنى يا « أوديب » أشحذ ذاكرته .. ما إخاله ينسى تلك الأيام التى كنا نعمل فيها متجاورين ، فى منطقة

« سيتايرون » .. كان هو يرعى قطيعين .. وكنت أنا أرعى قطيعاً واحداً ، ولقد تعاقبت علينا ثلاثة فصول .. من الربيع إلى الخريف .. حتى إذا أقبل الشتاء ، سقت قطيعي ، عائداً إلى « كورنت » ... وساق هو قطيعيه ، راجعاً إلى « طيبة » أما كنا نفعل ذلك أيها الراعى ؟!..

الراعى : هذا حقاً ما كنا نفعل .. ولكن مضت على ذلك سنون كثيرة ..

الشيخ : أجل !... مضت سنون كثيرة ... ولكن ذلك لا يمنع من تذكر ذلك الطفل الرضيع ، الذى وضعته بين ذراعى ذات يوم ، وتوسلت إلىّ أن أربيه ؛ كما لو كان ابنى !...

الراعى : (**مرتجفاً**) ماذا تعنى ؟... وماذا تبغى منى أن أقول ؟...

الشيخ : ما أبغى منك إلا أن تنظر أمامك ، أيها الصديق القديم ... ها هو ذا طفلك الرضيع !...

(**يشير له إلى « أوديب »** .....)

جوكاستا : (**تلفظ بغير وعى همسة كالحشرجة**) كفى !... كفى !... (**تهم مندفعة نحو القصر ... ولكن**

« أوديب » يمنعها)

أوديب : (صائحا) أين تذهبين يا « جوكاستا » ؟!...

جوكاستا : أيها الإله !... رحماك !...

أوديب : مكانك لحظة !.. لتسمعي بأذنيك ، حقيقة منبتي !..

جوكاستا : لا أستطيع البقاء لحظة أخرى ... لا أستطيع ... لا أستطيع ...

أوديب : لا تستطيعين أن تتحملي حمرة الخجل ، تصبغ وجهك ، وأنت تسمعين أمام كل هذا الملإ ، من أى بطن وضيع خرج زوجك ... إنى ما أرغمتك قبل الآن على شيء قط ... ولكنى أرغمك ، الآن إرغاما على البقاء فى مكانك ؛ لتعرفى عنى ما سيعرف الساعة هذا الشعب المحتشد !... حتى وإن كان فى ذلك إذلال لجلالك الملكى ، وجرح لعزة أسرتك العريقة !...

الجوقة : ابقى معنا أيتها الملكة !... واسمعى ما نسمع ... ولن يضيرك شيء ... فإن « أوديب » فينا ، ملك ببطولته لا بأسرته !...

أوديب : أصغى يا « جوكاستا » إلى حكمة الشعب ورغبته !...

جوكاستا : (تخفى وجهها بغلالتها) رحماك أيتها السماء !...

أوديب : (للراعى) والآن أيها الراعى !... صارحنا بجواب

مستقيم ... ليس فيه التواء ... عن حقيقة ذلك الطفل ، الذى سلمته إلى صاحبك هذا !...

الراعى : صاحبى هذا يا مولاى ، لا يدرى ما يقول ... إنه ولا ريب مخطئ ...

أوديب : حذار أيها الراعى !... إذا أبيت أن تجيب بالحسنى ، فإنا نعرف كيف نرغمك على الكلام !...

الراعى : ترفق يا مولاى برجل هرم مثلى !...

أوديب : إذا أردت الرفق بك فتكلم !...

الراعى : ماذا تريدون أن تعلموا أكثر مما علمتم ؟...

أوديب : ذلك الطفل الذى تحدث عنه صاحبك هذا ، أهو أنت الذى سلمته إليه ؟!...

الراعى : أجل يا مولاى ... أنا ... وإنى لأتمنى لو كنت مت فى ذلك اليوم !...

أوديب : إنى مذيقك الموت اليوم ، إذا امتنعت عن الإفضاء بالحقيقة !...

الراعى : الويل لى !... إن فى هذه الحقيقة موتاً لى ، وأى موت !...

أوديب : أما زلت تنوى أن تتهرب وتروغ ؟!...

الراعى : لم يبق إلى ذلك سبيل !... أوَ لم أعترف بأنى أعطيته

الطفل ؟... ماذا يراد بعدئذ منى ؟...

أوديب : من أين جئت بذلك الطفل ؟... من بيتك ، أو من بيت آخر ؟...

الراعى : ليس من بيتى ... بل ... من بيت آخر !...

أوديب : من أى بيت ؟...

الراعى : ويلاه !... ويلاه !... أستحلفك بالسماء يا مولاى ... أن تكف عن سؤالى !...

أوديب : أجب ... أجب إذا أمسكت الآن عن الإجابة ، فإنى منزل بك كل عذاب ، وملق بك فى شر ممات !... تكلم !...

الراعى : كان ذلك الطفل من بيت ... « لايوس » !..

أوديب : أكان ابن عبد من عبيده ؟.. تكلم !..

الراعى : ألا يمكن أن تعفينى من القول ؟!.. مولاى .. رفقاً بى !..

أوديب : يجب أن تتكلم ... ويجب أن أسمع .. وإلا حطمت رأسك الأبيض !.. بلا رحمة ... وسحقت جسمك الواهن !..

الراعى : كان الطفل .. ابنه هو ..

أوديب : ابن من ؟..

الراعى : ابن .. « لايوس » !..

أوديب : ابن الملك « لايوس » ؟!.

الراعى : نعم !!..

(يحدث هرج بين الشعب .. ويكاد « أوديب » ينهار ، ولكنه يتماسك)

أوديب : ما تقول فظيع أيها الرجل ... فظيع ما تقول !... لا يكاد عقلى يصدق ... حذار أيها الرجل أن تكون فى قولك كاذبا أو واهما ... لقد فهمت الآن العلة فى هروبك منى ... ما أنت فى واقع الأمر إلا منبع الخبر !... منك أنت — ولا ريب — عرف كهان المعبد !... فما من سر يدفن فى الصدر سبعة عشر عاما ، دون أن تنتشر له فى الهواء رائحة !... أنت إذن مصدر الوحى فى « دلف » !... حذار أن تكون مفترياً علىّ بالزور ، أو موحياً بالإفك !...

الراعى : بل هى الحقيقة ... وفى مقدورك أن تسأل الملكة « جوكاستا » ... فقد كان كل شىء فى حضورها وبعلمها ... لقد دفعوا إلىّ بالطفل لأهلكه ... ولكن قلبى لم يجرؤ على إهلاكه ... فسلمته إلى هذا الرجل ... ليذهب إلى بلاده ، ويتخذه ولداً ...

فأخذه ، وأنقذ بذلك حياته !...

أوديب : أكان طفلا حملته الملكة « جوكاستا » ؟...

الراعي : أجل يا مولاى .. وقد قيل يومئذ إن هلاكه ضرورى لنبوءة مشئومة لحقت به ... هى أن هذا الابن سوف يقتل أباه !...

أوديب : (صائحاً) « لايوس » !... « جوكاستا » !.. يا للسماء !.. يا للسماء !.. انقشع الضباب من حولى .. فرأيت الحقيقة ... ما أبشع وجه الحقيقة !... يا لها من لعنة !.. لم يسبق أن صب نظيرها على بشرا .. « ترسياس » !.. « ترسياس » ! ولكنك جامد كتمثال .. لقد شعرت بطيف الكارثة .. وانقبض لها صدرى ... قبل أن تنقض ... ولكنى ما تصورتها قط بهذه الفظاعة !... كذلك انقبضت لها أنت يا « جوكاستا » .. « جوكاستا » !..

(« جوكاستا » وكأنها كانت طول الوقت مائلة ، بغير رشد .. تسقط على الأرض ، فاقدة الصواب ...)

الجوقة : (فى صياح) أسرعوا إلى الملكة !... الملكة « جوكاستا » تنوء تحت وقر الكارثة !.. أنجدوها ..

أسعفوها . أدخلوها القصر !..

(يجتمع الناس حول جسم الملكة .. يحملونها برفق ، يعاونهم « أوديب » ، وقد أذهلته الفجيعة .. ويدخلون بها القصر .. تاركين « ترسياس » فى موضعه ....)

ترسياس : اذهب بى أيها الغلام بعيداً عن هذا المكان ! فقد راق للسماء أن تتخذه ملعباً !.. نعم !.. إن الإله يلهو وينشىء فناً ... ويصنع قصة .. قصة على أساس فكرتى ... هى بالنسبة إلى « أوديب » و « جوكاستا » مأساة .. وبالنسبة إلىّ أنا ملهاة !. عليكما إذن يا صاحبى هذا القصر أن تذرفا العبرات .. وعلىّ أنا أن أرسل الضحكات !..

(يضحك كالمجنون .....)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(فى القصر ... « جوكاستا » فى حجرتها ... ملقاة على فراشها .. ومن حولها « أوديب » وأولادهـا جزعين)

أوديب : (**هامساً**) ابتعدوا عنها قليلا ، يا أطفـالى ... ولا تزاعوا ... إنها نائمة ...

أنتجونه : أهدابها تتحرك يا أبتاه !...

أوديب : نعم ... إنها تتنبه ... إياكم أن تظهروا لها الجزع ... إنما هو مرض عارض ... لا يلبث أن يزول !...

(« جوكاستا » تتنهد ، وتفتح عينيها)

جوكاستا : أين أنا ؟... أنتم هنا يا أولادى ؟... هذا أنت يا ... « أوديب » !... ويلى !.... ويلى !...

أوديب : تجلدى يا « جوكاستا » !...

جوكاستا : ألم أزل على قيد الحياة بعد ؟!... أما ابتلعتنى الأرض ؟!

أما طوانى الفناء !؟...

أوديب : (**بصوت منخفض**) كفى عن هذا الكلام فى حضرة أولادنا !...

جوكاستا : أولادنا ... أولادنا ... يالبشاعة ما تقول !...

أنتجونه : (**مرتاعة**) أماه !...

أوديب : اذهبى يا « أنتجونه » مع إخوتك ... لا تزعجوا أمكم الآن ... (**يخرجهم برفق من المكان**)

جوكاستا : (**كالمخاطبة لنفسها**) أولادنا !... أولادنا !...

أوديب : (**يعود إليها**) « جوكاستا » !... أيتها العزيزة !... رفقا بنفسك وبى !...

جوكاستا : أولادنا !... من أى بطن خرجوا ... كلهم ... وأنت معهم يا ... « أوديب » !... بطن واحد ... حملهم وحملك !... لن تقول بعد اليوم إنهم أولادك !.. بل هم أيضا إخوتك .. ولن تقول إنى زوجك بعد اليوم .. فأنا أيضاً لك فى عين الوقت .. أنا أيضا لك .. ماذا ؟.. ماذا ؟... ماذا أقول ؟!...

أوديب : لا تقولى شيئا يا « جوكاستا » !...

جوكاستا : أعرفت الدنيا من قبل إثما كهذا الإثم ؟! ألطخ وجه الأرض دنس ، مثل هذا الدنس ؟!... أنزلت على رأس

بشر لعنة مثل هذه اللعنة ؟... ومع ذلك لم أزل حية ...
حيـة أتنـفس ... وأتكلـم ... وأبصر أولادى ...
أولادى جميعهم ... جميعهم !..
(**تبكى وتمزق شعرها ....**)

أوديب : رفقاً بنفسك وبى !...

جوكاستا : « أوديب » !... زوجى و ... ابنى !... لماذا فعلت بنا السماء ذلك ؟!... أى جرم استوجب علينا هـذا العقاب ؟!... أتراها جريمتى ، يوم تركتك للهـلاك صغيراً ؟!... ابنى وزوجى !... أهذا ممكن ؟!.. أهذا يمكـن أن يحتملـه كيـان بشر ؟.. دون أن يصاب بالجنون .. أو يصعق من الفور !.. لا بد أن أموت يا « أوديب » !.. لا بد أن أموت !...

أوديب : لن تموتى يا « جوكاستا » !.. سأذود عنك ؛ كوحش أصابه سعار .. سأقف فى وجه كل من ينال مـنك شعرة .. سأصمد معك لصواعق السماء .. وضربات القدر .. ولعنات البشر .. لن تموتى !.. لن تموتى !..

جوكاستا : وما قيمة الحياة الآن .. يا « أوديب » !.. ما قيمـة حياتنا !.. عدونا الآن ، ليسوا فى السمـاء ، ولا فى الأرض !.. عدونا داخل أنفسنا .. عدونا هو تـلك

الحقيقة المدفونة ، التى حفرت أنت عليها بيـديك ، وكشفت عنها ولا سبيل إلى الخلاص منها .. إلا بالقضاء على أنفسنا ، يجب أن أموت إذا أردت أن أختنق فى أعماق ذلك الصوت البشع للحقيقة البشعة !..

أوديب : لن تموتى .. سأقضى على كل عدو لك .. حتى وإن كان داخل نفسك !...

جوكاستا : كلا يا « أوديب » !... لا تفعل !... إنك بذلك تمد فى عذابى ولا تريحنى ... لقد قضى الأمر وحلت علينا اللعنة من الإله ومن الناس !... أينما سرنا ... تبعتنا الأنظار ؛ كأنها حجارة ترجمنا !...

أوديب : تشجعى يا « جوكاستا » مثل ما أتشجع .. وتجلدى مثل ما أتجلد .. واحتملى كل شىء لمواجهة الواقع !.

جوكاستا : أى واقع نستطيع أن نواجهه بعد اليوم !!...

أوديب : كياننا الواحد ... أسرتنا المتحدة ... قلوبنا المتحابة .. نفوسنا التى تعمرها المودة ، وتدعمها الرحمة !.. من فى مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان ؟!.. وأى قـوة فى إمكانها أن تدك هذا البرج المشيد ، من حب وعطف وحنان !..

جوكاستا : « أوديب » !.. يا ... لست أدرى كيف أناديك ؟!..

أوديب : نادينى بأى وصف شئت !.. فأنت « جوكاستا » التى أحبها .. ولن يغير شىء ما بقلبى ... فلأكن زوجك أو ابنك .. فما تستطيع الأسماء ولا الصفات أن تبدل ما رسخ فى القلوب من العطف والود !.. ولتكن « أنتجونه » وإخوتها أولاداً لى أو أشقاء فما يستطيع وضع من هذه الأوضاع أن يغير فى نفسى ما أكنه لهم من الحنان والحب !... أعترف لك يا « جوكاستا » أنى تلقيت الضربة ؛ وكدت بها أنوء ... ولكنها ما استطاعت قط أن تجعلنى أبدل شعورى نحوك لحظة واحدة !... فأنت هى « جوكاستا » دائما ... ومهما أسمع من أنك لى أم أو أخت ... فلن يغير هذا من الواقع شيئا ... وهو أنك عندى دائما : « جوكاستا » !...

جوكاستا : « أوديب » ! يا من أعزه أكثر من نفسى !... لا تحاول أن تخفف عنى وطأة المصيبة !... إن الواقع هو كما وصفت .. ولكن الحقيقة يا « أوديب » !... ماذا نفعل بصوت الحقيقة الصارخ ؟!...

أوديب : الحقيقة ؟!... إنى ما خفت يوماً من وجهها ... ولا

ارتعت من صوتها !...

جوكاستا : (كالمخاطبة لنفسها) لطالما حذرتك من ذلك !... وأشفقت عليك منها ... أنت الذى قضيت خير أيامك تجرى خلفها ... من بلد إلى بلد ... تتمسك بنقابها ... حتى التفتت إليك ، آخر الأمر .. وكشفت لك قليلا عن وجهها المروع ، وصرخت بصوتها المدوى ... فهدمت صرح سعادتنا ... وصيرتنا إلى ما ترى ... حطام من أسرة ، لا تعرف لها وضعاً بين الأسر ... ولا نعتاً بين البشر !...

أوديب : كان ينبغى لى يا « جوكاستا » أن أعرف الحقيقة !...

جوكاستا : لقد عرفتها ... فهل استرحت ؟!

أوديب : حقاً ... ليتنى ما عرفتها .. وهل كنت أتخيل أنها بهذا الهول ؟... وهل كان يخطر لى أنها شىء ، قد يقضى على هنائى ؟!... الآن فقط أدركت ... بعد أن انتقمت منى ... لأنى عبثت بنقابها !...

جوكاستا : انتقمت منا جميعا يا « أوديب » !... انتقاماً لا قيام لنا من بعده !...

أوديب : لا تقولى ذلك يا « جوكاستا » فى وسعنا أن نقوم بانهضى

معى ... ولنضع أصابعنا فى آذاننا .. ولنعش فى الواقع ... فى الحياة التى تنبض بها قلوبنا الفياضة بالمحبة والرحمة !...

جوكاستا : لا أستطيع يا « أوديب » !... لا أستطيع البقاء معك !... إن حبك لأسرتك قد أعماك .. إنك لا ترى الناس ، وما هم قائلون .. لو استأنفنا هذه الحياة الشاذة بعد اليوم ... لم أعد أصلح للبقاء .. أيها العزيز .. ليس هنالك من مخرج إلا .. ذهابى !..

أوديب : لن تذهبى !.. سأرغمك على الحياة .. سأحرسك الليل والنهار .. لن أسمح لشىء أن يحطم سعادتنا .. ويقوض أسرتنا .. سأترك الملك والقصر .. ونرحل معاً بصغارنا عن هذه البلاد ...

جوكاستا : نرحل معا !... كلا ... بل أرحل أنا وحدى ...

أوديب : « جوكاستا » ! حذار أن تقدمى على أمر يلقى فى قلبى اليأس !.. أنت تعرفين أنى لا أستطيع لك فراقا ... تجلدى وانهضى معى نواجه الحياة ... ثقى أنه ما دامت لنا قلوب ، فنحن صالحون للبقاء !!...

جوكاستا : لم نعد نصلح للبقاء معا !...

أوديب : ما هي تلك القوة التي تحول بيني وبينك ؟!...

جوكاستا : لا تستطيع أنت تحطيمها يا « أوديب » ... مهما تكن لك تلك البطولة التي قضت على « أبي الهول » !..

أوديب : (كالمخاطب نفسه) يا له من مصير !... إني بطل لأني قتلت وحشا ... زعموا أن له أجنحة !.. وإني مجرم لأني قتلت رجلا .. أثبتوا أنه أبي ، الذي جئت من صلبه !.. وما أنا بالبطل ، ولا بالمجرم !.. ولكني فرد من الأفراد .. ألقت عليه الناس أوهامها . وألقت عليه السماء أقدارها .. فهل ينبغي لي أن أختنق ، تحت وقْر هذه الأردية التي ألقيت عليَّ ؟!..

هذا قلبي ما زال ينبض .. إني حي .. إني أريد أن أعيش ، أريد أن أعيش يا « جوكاستا » .. وأن تعيشي معي .. ما هذه الهوة التي تفصلنا الآن !.. ما هذا العدو الخفي والخصم المستتر ، الذي يقوم بيننا كعملاق ؟!..

الحقيقة !.. ما هي قوة هذه الحقيقة ؟!... لو أنها كانت أسداً ضاريا ، حاد المخلب والناب ؛ لقتلته ، وألقيت به بعيدا عن طريقنا .. ولكنها شيء لا يوجد .. إلا في أذهاننا .. إنها وهم !.. إنها شبح . إن ضربتي

لا تنفذ فى أحشائها .. ويدى لا تنال من كيانها ...
وحش مجنح حقا !!... رابض فى الهواء ... لا نصل إليه
بسلاحنا .. ويقتل سعادتنا بألغازه !.

« جوكاستا » ! أنت ترتعدين من طيف
يا « جوكاستا » !.. إن الواقع الذى نعيش الآن فيه ،
يجب أن يبقى .. ويجب ألا نسمح لشىء لا نراه أن
يهدمه .. دعك من حقيقة ما سمعنا أيتها العزيزة !..
أصغى إلى نبضات قلبك الساعة .. ماذا هى قائلة
لك ؟.. أهى تقول لك : إن شيئا قد تغير ؟.. هل حبك
لصغارك قد تغير ؟. هل حبك لـ « أوديب » قد
تغير ؟..

جوكاستا : لا ... ولن يتغير أبدا هذا الحب ... أبدا ... أبدا ..
ولكن ...

أوديب : ما هذه الدموع فى عينيك !. قولى إنك تريدين الحياة من
أجلنا !..

جوكاستا : « أوديب » !...

أوديب : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ... كما لو كنت طفلك !..

جوكاستا : « أوديب » !

أوديب : ماذا بك يا « جوكاستا » العزيـزة ؟!.. إنك تـرثين لى !.. تشبثى بهنائنا الضائع يملؤك بالأسى ... أقرأ فى وجهك ألما وعذابا .. تألمى قليلا ... بل أمعنـى فى الألم .. فإن أعظم القوى تضافرت على هـدم هـذه الأسرة السعيدة ! كل القـوى !!.. تفـكير الإنسان المتمرد ، وتدبير الإله الساخر ، وتقاليد الناس ، وأوهام البشر !...

كل شيء تحالف على شقائنا .. حتى عقلى الذى لبث الأعوام يبحث عن حتفى ... إلى أن أخرج لنا ذلك الشبح ، الذى استوى فى الفضاء ، يعصف بحياتنـا الباسمة ، ويزلزل واقعنا الجميل ، ويمنعنا من التلاقى فى عش نسجناه ، من ريش تآلفنا الطويل !...

« جوكاستا » فلنتألم من لطمة الكارثة التى نزلت بنا .. وانقبضت لها نفسانا معا عنـد دنوهـا ... ألا تذكرين ؟... ولكن إيانا أن نستسلم للنازلـة !. كل شيء يمضى .. ما دمنا نذود عن بيتنا !.. إن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب !.. حتى ذنوب العقـل وأخطائه !...

إنى مؤمن بطهر قلبى وقلبك ؛ لأنا لم نرتكب إثما عامدين .. ولم نرد كل هذا الشر ، الذى تحملنا تبعته ... فليس لأحد علينا سبيل .. وليس لقوة أن نطلب إلينا ثمناً باهظاً ، لجرائم لم نسع إلى ارتكابها ... وإذا كان علينا أن ندفع ثمنا ... فليكن هذا المجد ، وهذا الملك وهذا الثراء !... أما أنت يا « جوكاستا » .. وأما أولادنا فكلا ... كلا .. كلا ..

جوكاستا : (تهمس) أولادنا !.. أولادنا !..

أوديب : بم تهمسين ؟

جوكاستا : لا شىء !..

أوديب : أرى فى عينيك أمراً .. إنى خائف منك يا « جوكاستا » !..

جوكاستا : لا تخف !.. هو قليل من التعب .. دعنى الآن !..

أوديب : أراك منهوكة القوى !..

جوكاستا : نعم !..

أوديب : لو نمت قليلا !.. لو استغرقت فى نوم طويل ، أيتها العزيزة ؟!..

جوكاستا : هذا ما عولت عليه !..

أوديب : ولكنى لن أدعك الآن ، حتى تعدينى أن نرحل معا ، عن هذه البلاد .. إلى مكان بعيد !..

جوكاستا : (**كالمخاطبة لنفسها**) إلى مكان بعيد !.. نعم .. أعدك !..

أوديب : سأطلب ذلك من فورى ، إلى الشعب ، وإلى « كريون » ... استريحى الآن .. ولا تفكرى فى شىء .. حتى أعود ...

جوكاستا : اذهب ... يا ... « أوديب » !...

أوديب : (**ينظر إليها مليا**) لن أتركك بمفردك !.. سأنادى الأولاد يمكثون إلى جانبك ، ريثما أرجع ... (**ينادى**) « أنتجونه » !... « أنتجونه » !...

(**تظهر « أنتجونة » بالعتبة**)

أنتجونة : أبتاه !...

أوديب : ادخلى أنت وإخوتك ... واعنوا بأمكم .. وسروا عنها ... حتى أعود ...

(**يضع يده على أعناق أولاده .. وتتأملهم « جوكاستا » وهم مجتمعون على هذه الصورة ... ويقودهم « أوديب » إلى أمهم ....**)

أنتجونة : ما من أحد يستطيع التسرية عن أمى إلا أنت يا أبى.
حسبك أن تقص عليها قصة « أبى الهول » !... إن
أمى — كما تعلم — تحب سماعها منك دائما !...

أوديب : الشعب فى انتظارى يا « أنتجونة » !... تولى أنت عنى
هذا الأمر !... إنك تجيدين سرد القصة ... أكثر
منى ... أوصيك بالعناية بأمك !... ريثما أعود !...
إياك أن تتركيها فريسة للتفكير !...

**(يخرج مشيعا بنظرات « جوكاستا »
الوالهة ....)**

جوكاستا : (**هامسة**) زوجى !... ولدى !...

أنتجونة : أماه !... يبدو عليك حقا أنك تفكرين فى شىء
محزن !...

جوكاستا : لن يطول أمد ذلك يا بنيتى !..

أنتجونة : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟!...

جوكاستا : إنك تحبين أباك كثيرا يا « أنتجونه » !... إنى واثقة أنك
ستكونين دائما بجانبه ... إذا قدر لى يوما أن أذهب إلى
مكان بعيد ...

أنتجونة : أذاهبة أنت يا أماه إلى مكان بعيد ؟!...

جوكاستا : ربما ... يحدث ذلك يوما ...

أنتجونة : أى مكان بعيد تعنين ؟...

جوكاستا : مكان بعيد ... يعيش فيه القلب طليقا ؛ كاليمامة الآمنة ... لا يطير فى سمائه ذلك الطائر ذو الأجنحة والمخالب ، الذى يفترس الحب !...

أنتجونة : لست أفهم ما تقولين يا أماه !...

جوكاستا : لا بأس ... لا تحاولى الفهم الآن ... كل ما أرجو منك أن تعنى بأبيك ... إذا رأيته يوماً وحيداً ... أوصيك به يا « أنتجونة » ... فهو يستحق كل محبتنا ... وإذا رأيت يوما دموعه تنحدر من عينيه ... فبكفيك الصغيرتين الطاهرتين ، امسحى تلك الدموع !...

أنتجونة : لماذا تقولين لى هذا الكلام يا أماه ؟!...

جوكاستا : لأنى لا أريد لأبيك أن يتألم ... يجب أن يعيش قرير العين .. وأن يجد فيك عزاء يا بنيتى ، عن كل شىء ...

أنتجونة : تبكين يا أماه ؟...

جوكاستا : أوصيك به يا « أنتجونه » !... أوصيك به يا « أنتجونة » !... (**تضمها طويلا**)

المنظر الثانى

(فى الساحة أمام القصر . الجوقة محتشدة كما كانت ..
وقد وقف بين الجمع « الكاهن » و« كريون »)

الجوقة : من كان يتخيل أن الستار سيرتفع عن هذه الأشياء المروعة ؟!... ومن كان يتصور أن « أوديب » يجهل من حقيقته ، ما كان يجهل !... هذا البطل الذى لج فى البحث ... وحذق حل اللغز ، يعمى عن شأنه ، فلا يرى أى امرأة فى فراشه ، ولا أى ولد أنجب ، ولا أى رجل قتل ؟!...

لكأن هذا الإنسان الذى قبض على أكثر مما ينبغى له من سر ، قد أفلت منه أصغر ما يلتصق بشخص الإنسان من أمر ... لقد تطاول حتى هاجم « أبا الهول » ينتزع سره ... وتضاءل حتى خفى عليه ما فى بيته ، وما فى قدمه !... ما أتعس هذا الإنسان ، الذى جعل ينقب فى الأعماق ، فما انبثق له غير نبع شقائه !...

ترى ماذا يفعل الآن ؟!... وماذا جرى

لـ « جوكاستا » ؟... هل أفاقت ؟... ترى ما عساهم يصنعون بعد اليوم ؟!... هؤلاء الذين يحتويهم هـذا القصر فى جوفه ؛ كما يحتوى الحيوان فى أحشائه القذر والنتن !... لسنا نـدرى أنرثى لـ « أوديب » ، أم نغضب عليه ؟!...

إنه مع ذلك ملكنا وبطلنا ، قبل أن يكون الآثم فى حق نفسه وذويه !...

الكاهن : حسبك أيها الشعب حديثا فى أمر « أوديب » !... دعكم الآن من شقائه ... واشغلوا أنفسكم بشقائكم أنتم !...

الجوقة : وهل نملك لأنفسنا حيلة ؟!.. سل « أوديب » .. فهو الذى يرى لنا دائما ما ينبغى ..

الكاهن : إنكم ما زلتم تضعـون « أوديب » فى الموضع الـذى جعلتموه فيه ، وتتخيلونه على الصفة التى عرفتموها عنه !.. وليس فى مقدوركم أن تتحرروا سريعا ، من سحر صورة ألفتموهـا .. ولا أن تجروا فيها تعديـلا مفاجئا ، لأن ذلك يستلزم قدرة على سرعة الإدراك ..

ما أجمد تفكيرك أيها الشعـب !.. وما أبطأ يدك فى

وضع تمثال مكان تمثال !.. ولكنى أنبهكم إلى أن « أوديب » الآن فى هم من أمره يكفيه ، وفى بلاء يضنيه ، وفى محنة تستغرقه ، وشغل يصرفه عن التفرغ لأمركم !..

الجوقة : (**ناظرة إلى باب القصر**) ها هو ذا « أوديب » قد ظهر !..

أوديب : إنه لشاق على نفسى أن أتعرض لأنظاركم .. بعد أن غطانى الخزى ، ودثرنى العار !.. ولكنى جئت أتلقى حكم الشعب على أيها الناس !.. ارحمونى قليلا ، إذا كان حكمكم الذى أصدرتموه الساعة فى غيبتى ، أقسى مما أحتمل !...

الكاهن : إنهم لم يصدروا عليك حكما يا « أوديب » ولا تنتظر منهم أن يفعلوا .. ولكن تذكر أنك وعدت أن تصدر أنت حكمك على قاتل « لايوس » فلا تخلف وعدك !..

أوديب : لن أخلف وعدى أيها الكاهن !.. ماذا قدرت لكما من عقاب ، يوم وجهت إليك وإلى « كريون » الاتهام ؟...

الكاهن : الموت أو النفى !!..

أوديب : أما الموت فإنى أجبن الآن عنه ؛ لأنى أحب أهلى !.. فلتكن الثانية أيها الكاهن !.. دعونى أرحل بأسرتى عن هذه البلاد .. إلى غير رجعة !..

كريون : إنك يا « أوديب » تسأل شططا !.. ما أسرتك إلا أسرتى .. كيف ندعك تشرد هذه الأسرة فى غريب البلاد ! وتذهب بها إلى غير عودة ؟!..

أوديب : أوَ تستطيع هذه الأرض أن تحملنا بعد اليوم ؟!..

كريون : ليس من حق أحد هنا يا « أوديب » أو يجيز لك هذا الرحيل .. ولسنا نملك أن نقضى فيه بأمر ، قبل أن نستلهم الإله !..

أوديب : ما هذا الذى تقول يا « كريون » ؟.. ألست أنت الذى جاء من معبد « دلف » بالوحى ؟.. أليس هو الذى قال بتطهير هذه الأرض ممن لطخوها بالدنس ؟!..

كريون : إن ما طلبت يا « أوديب » لأخطر من أن أقره بغير إذن ... إن الوحى قد يغمض أحياناً علينا ... لا بد فى أمرك من بعض التريث ... ليس من اليسير أن تخرج أسرة « لايوس » من منبتها ... إنها لتبعة ... لا يجوز

فيها العجلة ولا التسرع !...

الجوقة : (**تلتفت**) هذا هو « ترسياس » قد أقبل ... ربما كان لديه رأى ... إن فى مقدوره أن يطالع الوحى !...

أوديب : ادن يا « ترسياس » ... وافصل فيما نحن فيه من خلاف !... لقد عرفت ما وقع من أحداث ... وما هبط على رأسى من نوازل ... وهأنذا أعرض ترك هذا الملك الغائص فى الوحل والدم ... أريد الفرار بأسرتى من هذه الأرض .. ولكن هؤلاء القوم يأبون إلا إطالة تعذيبى وإذلالى ...

ترسياس : (**يدفع عنه غلامه**) إليك عنى أيها الغلام !... أرى الآن طريقى ... لقد لطمنى الإلٰه على عينى فأبصرت !...

أوديب : « ترسياس » !... أصغ إلىّ ...

ترسياس : من هذا الذى ينادينى ؟... أبشر أم إلٰه !...

أوديب : أنا « أوديب » !!...

ترسياس : « أوديب » !... من « أوديب » ؟!...

أوديب : ألا تعرف الآن من « أوديب » ؟... دعنى أذكرك به ... إنه ذلك الذى جررت عليه أنت كل هذه

النكبات ... أنت الأحمق الذى أراد أن يتدخل ، فيما لا قبل له به ...

أنت الأعمى الذى ظن أنه يبصر للناس خيراً مما تبصر لهم السماء !... أنت الذى أردت ، فكانت إرادتك وبالا على الأبرياء ... لو أنك تركت الأمور تجرى ؛ كما قدر لها أن تجرى طبقاً لنواميسها المرسومة ... لما كنت أنا اليوم مجرماً !...

أردت أن تتحدى السماء ، فأبعدت « أوديب » صغيراً عن الملك ، ووضعت على العرش رجلا من صنعك ... فإذا بهذا الرجل الذى وضعت ، هو عين « أوديب » الذى أبعدت ... لطالما زهوت بإرادتك الحرة !... نعم ... كانت لك حقا إرادة حرة ... شهدت آثارها ... ولكنها كانت تتحرك دائما ، دون أن تعلم أو تشعر ، داخل إطار من إرادة السماء !...

الجوقة : لسنا نفهم شيئا من هذا القول العجيب ، الذى يتفوه به « أوديب » !...

الكاهن : دعوا « أوديب » يتفوه بما يشاء ... فهو يود أن يبدو فى ثوب البرىء وأن يلقى الجرم على عاتق هذا الشيخ

الضرير !... وما كان هذا الشيخ إلا ناقلاً لوحى علوى .. وقد صدقت النبوءة !..

أوديب : نعم !.. صدقت !.. وهو مما يدعو إلى العجب !.. ومما يعجب له هو نفسه فى دخيلته ... هذا الشيخ الناقل للوحى !.. وإنى إذ تفوهت الساعة بذلك القول لم أرد أن أبدو بريئا .. فأنا ما دافعت قط عن نفسى أمامكم .. إنما هو كلام يفهمه « ترسياس » .. ولا شأن لكم به ، ولو اطلعت أيها الشعب على ما أعنى لامتلأت عجبا !..

أما أنت أيها « الكاهن » .. فمن يدرى ؟.. ربما كنت لـ « كريون » دون أن تشعر ؛ مثلما كان « ترسياس » لى !..

إن الإنسان هو الإنسان .. لا بد له من أن يعمل ، ويريد ، ويسير ؛ بما تدفعه إليه ملكاته وخيلاؤه ، دون أن تتبين لبصيرته القاصرة ، إرادته من إرادة الإله !..

ترسياس : ما هذا اللغط حولى ؟! أكاد لا أسمع شيئا من حديث الناس !.. أذنى ممتلئة بضحكات آتية من أعلى !.

أوديب : نعم !.. لقد أرادت السماء أن تجعل منك

أضحوكة !.. أنت يا من ظننت أنك تناصبها حربا ..
وقمت تشرع من إرادتك سيفا .. وتخيرت أنت هذا
القصر بسكانه الوادعين ميدانا للنزال .. وضربت
ضربتك .. ولكن الإله اكتفى بأن هزأ بك ، ولطمك
على عينك العمياء ؛ لتبصر حمقك وغرورك !.. أما
القصر فقد اندك بأهله ، تحت ضربتك الحمقاء ،
وسخرية السماء !..

على أن من المروءة يا « ترسياس » أن تفكر قليلا فى
أمر الضحايا .. تكلم واقض بما ترى !.. إنى لا أسأل
شيئا غير الرحيل بأسرتى عن هذه الأرض ... حاملين
خزينا ... لعلنا نوفق فى أرض أخرى إلى رمِّ حالنا !...

ترسياس : أيها الغلام !... ما هذا الذى يطن من أعماق الصمت ؟
طنين الحشرة من أعماق الطين ؟!...

أوديب : هو مخلوق قتل أباه ، وتزوج من أمه ، وأنجب أولاداً هم
له أشقاء !... الحشرة فى أعماق الطين تفعل ذلك ؛ إنها
عمياء .... ولقد فعلت ذلك ؛ لأن مصيرى ، منذ
وجودى ، أراد أن يقوده أعمى !.. أيها المجرم
الحقيقى ... لو كان دمك طاهراً لسفكته ، وغسلت به

جراحى !... ولكن كتب لك أن تعيش مبجلا ، تخدع الناس ، وأن أدفع أنا ثمن أخطائك ، وأرتدى خزى أوزارك !...

الكاهن : رفقا بالشيخ يا « أوديب » !..! رفقاً بالشيخ .

الجوقة : تحمل قدرك وحدك يا « أوديب » ؛ كما يليق ببطل أن يتحمله !..

أوديب : أصبتم أيها الناس !... إنه لمن الخطل أن نناقش فيما ألقى على كواهلنا من أقدار .. ربما كان بعضها من صنع أيدينا .. أسامع أنت يا « ترسياس » ؟.. عينك المغلقة لم تستطع أن تبصر يد الإله فى هذا الكون !.. هذا النظام المقرر للأشياء كالصراط ، كل من خرج عليه ، وجد حفراً يقع فيها ... صراط ، لك أن تسير فيه بإرادتك أو تقف ، ولكن ليس لك أن تتحدى أو تنحرف ، وقد فعلت يا « ترسياس » فوقعت ... ولكنك جرفتنا معك ... غير أن السقطة لم تصبك إلا فى كبريائك ... لقد ردك الإله بها إلى موضعك ... أما نحن فقد أصابتنا فى قلوبنا ... وما من أحد يبذل لنا الساعة عوناً ... حتى أنت ، تلزم الصمت ، ولا تنطق إلا بالهراء

والخلط !... لم يبق لنا من أمل إلا قلوب الناس ، نسألها بعض الرحمة بنا ... والآن اغرب عنى أيها الشيخ ! ما عدت تصلح بعد اليوم لشيء فيما أرى ... اذهب به بعيدا أيها الغلام ...

ترسياس : (للغلام) اذهب بى إلى الإله ؛ لأسأله : متى أعدَّ سخريته ودبرها ؟... قبل خلقنا ؟.. أو بعد تفكيرنا ؟.. اصعد بى إلى السماء أيها الغلام ، وأدخلنى على الإله .. لأعلم هل هو يضحك الساعة حقا منى ؟.. أو هو لا يعرفنى ، ولا يحفل بأمرى !..

إنما هو قد ضحك سلفاً منذ مبدإ الخليقة .. منذ خلق هذه المزاحة .. وأطلقها فى الزمان ، تصيب من يتعرض لها .. وتلبس من يتحداها ... وتلحق من يقف فى طريقها !...

اصعد بى إلى السماء أيها الغلام ؛ لأعلم ... فإذا وجدت الإله يضحك منى ، فسأضحك أنا أيضا فى حضرته .. هكذا .. هكذا ...

(يدفع الغلام أمامه ، وهو يضحك ، إلى أن يخرجا ....)

الجوقة : (**وهى تشيع « ترسياس » بأنظارها**) ماذا جرى اليوم لـ « ترسياس » الجليل ؟!... لكأن الأحداث قد أذهلته عنا ، وأخرجته عن طوره !...

الكاهن : دعوه يذهب .. ما أراه اليوم على خير حال !...

(صيحة تدوى فى داخل القصر ... فيلتفت الجميع إلى بابه .. وعندئذ تظهر « أنتجونه » صائحة ...)

أنتجونة : أبتاه !... أبتاه !...

أوديب : ماذا حدث ؟.. ماذا حدث ؟...

أنتجونة : أمى .. أسرع إلى أمى !..

(يقفز « أوديب » إلى الدرج قفزاً ... ويدخل القصر ملهوفاً فزعاً ... وخلفه ابنته ... والجميع ينظرون إليهما جامدين من الروع ، كالتماثيل ...)

كريون : (**يفيق ويتحرك**) ماذا حدث لأختى ؟!

(يهم بدخول القصر ...)

الكاهن : (**يمسك به ويبقيه**) ابق يا « كريون » !.. مكانك الآن بين هذا الشعب .. الذى انصرف عنه رعاته .. وشغل عنه حماته ...

إنا نقدر ما يمضك من ألم ، وما يخالجك من

شعور !.. فما أنت إلا غصن من هذه الشجرة المالكة ، وعضو فى هذه الأسرة المنكوبة ... يهزك ما يهزها من أنواء وأرزاء !...

وإن إخلاصك لـ « أوديب » ولأختك « — ليدفعنا أن نطلب إليك أن تضع فى يدك دفة هذه السفينة ، قبل أن تغرق بنا جميعا ... فقم فى هذا الشعب القلق الحائر ، وثبت مركبه فى شاطئ أمين !...

كريون : ومن يمنحنى هذه السلطة ؟..

الكاهن : الظروف المحيطة .. والحوادث الطاغية ، تمنحنى من حق القيام على مصلحة الشعب ، ما تمنحه الأمواج الجارفة للملاح الحازم عند دوار الربابنة ، من حق النهوض بالعبء وإقرار الطمأنينة والثبات والإيمان !...

كريون : أما رأيت كيف اتهمت بالطمع فى العرش ؟..

الكاهن : قد سقط عنك ذلك الاتهام !.. لأن الحق كان فى جانبك .. لا تصغ أبداً إلا إلى صوت واجبك !..

كريون : (**يصيخ بأذنه**) صه !.. (**تنطلق صيحات من داخل القصر**)

الجوقة : ما هذه الأصوات المفزعة ، الصاعدة من جوف هذا

القصر ؟!

الكاهن : (**يلتفت نحو القصر**) ماذا وقع ؟!.. إن الأمور فيما أرى تزداد سوءا !...

كريون : (**يهم بالذهاب**) دعنى أذهب لأرى ما حدث !...

الكاهن : (**يقفه**) مهلا !... هذا خادم يخرج إلينا من القصر !...

الجوقة : انظروا إلى هذا الخارج من القصر ، وفى عينيه آيات الهلع !...

الخادم : يا أهل « طيبة » !.. لقد ماتت الملكة « جوكاستا » !..

الجوقة : ماتت !؟...

كريون : أختاه !.. (**يهرع إلى داخل القصر**)

الخادم : ميتة ارتعدت من هولها الفرائص .. وإليكم ما حدث .. إذا كان يعنيكم أن تعلموا ..

الجوقة : تكلم ... تكلم ... قص علينا كل ما حدث !...

الخادم : لم نر شيئا فى أول الأمر .. ولكنا سمعنا « أنتجونة » تصيح قائلة : (**أين أبى ؟.. أين أبى ؟..**)

فلما سألناها عما بها قالت :

إن أمها نهضت من فراشها ، وقبلتها وقبلت إخوتها .. وزعمت لهم أن التعب قد نال منها ، وأنها تريد نوماً .. وجذبتهم إلى خارج حجرتها .. ثم دخلتها وأوصدت الباب عليها من الداخل ، وقد شعت عيناها ببريق يثير الخوف ، ويبعث على القلق !..

بعدئذ لم يسمع الصغار من خصاص الباب ، إلا صيحات مكتومة وزفرات مخنوقة !..

ثم كان سكون مطبق رهيب .. وانطلقت « أنتجونة » خارجة إليكم كما رأيتم ، تخبر أباها !.. فبادر « أوديب » فى أثرها إلى الحجرة الموصدة يطرقها كالمجنون : ولا من مجيب .. فجأر كالوحش المخوف ، وحمل على الباب بكتفيه حتى أسقطه .. وهنا رأينا مشهدا جمدت له فى عروقنا الدماء !..

الملكة « جوكاستا » معلقة من عنقها بحبل تدلى فى الهواء .. وكل شىء من حولها ساكن سكون القبر .. فما كاد « أوديب » يراها على هذه الحال » حتى اندفع إلى الحبل فجذبه .. وإذا جثة الملكة تهوى باردة على الأرض !..

عند ذلك أبصرت عيوننا أبشع منظر وقعت عليه عين بشر !.. فقد جن جنون « أوديب » ، وانحنى على جثمان « جوكاستا » يمرغ خديه على خديها ، ويمسح رأسه بقدميها ... ويصيح : إلىّ بسيف .. سيف !.. إنى ما تحملت هذه الحياة الشقية إلا من أجلك !.. — « زوجى وأمى !.. » فلما جمدنا فى مكاننا وذهلنا عن نداءه ، زأر كالأسد الجريح .. وصاح :

« يبطئون علىّ بأداة الموت أيضا !... لا حاجة بى إلى السيف ... هاكم ما هو أفظع من الموت وأشد وأوجع !... » وامتدت يده كمخلب الباشق ، إلى صدر الثوب الملكى ، الذى ترتديه « جوكاستا » ، فانتزع منه مشابكه الذهبية ، وطعن بها عينيه طعنا عنيفا متصلاً !!... وهو يقول :

« لن أبكيك إلا بدموع من دم !... !... » ومضى يخرق بالمشابك أجفانه ويمزق أهدابه ... والدماء تسيل من عينيه مدراراً ... صابغة بلونها القاتم ، صفقة خده ... كأنها أسطر سوداء لحكم قدر صارم !...

الجوقة : (**ومن بينها أصوات نساء**) كفى !... كفى !...

الكاهن : وأين هو الآن هذا الملك التعس ؟...

الخادم : يتخبط فى أرجاء القصر ؛ ويتلوى من آلامه !...

الكاهن : أما من أحد يخف إلى إسعافه ؟!...

الخادم : وماذا يجدى فى علاجه الآن ؟... انظـروا ... أرى ذراعيه تضربان الفضاء ، متلمسة طريق الخروج من القصر !...

(**« أوديب » يظهر مكفوف البصر ، والدم فى وجهه وعلى ثيابه** ..)

الجوقة : (**فى صيحة فزع**) ويلاه !...

أوديب : (**يتقدم متعثراً**) أين ساقتنى قدماى ؟!...

الجوقة : لماذا أحدثت بنفسك يا « أوديب » هذا الأمر ، الذى يؤذى منظره النفوس !...

أوديب : هذا أنت أيها الشعب الكريم !... ألتمس العفو منك والمعذرة لى ... ما كنت أود أن أوذى أبصارك بمنظر كريه !... ولكنى أتلمس طريقى الذى لم يبق لى سواه ...

الجوقة : ما هو هذا الطريق يا « أوديب » ؟...

أوديب : طريق الموت ! هناك خارج أسوار « طيبة » ... سأهيم على وجهى فى البرية ... حتى أصادف وحشا يفترسنى ، ويحط طير يطعم من بقايا أشلائى ..

الكاهن : لن ندعك تذهب إلى حتفك !...

أوديب : رحمة بى !... لا تسدوا فى وجهى السبل بعد الآن لقد أبيتم علينا النفى ، حتى فات أوانه ... فلم يبق لى إلا ملاقاة الحتف ...

الكاهن : لن تخطو إليه بقدميك !...

أوديب : من يمنعنى ؟...

الكاهن : الإله ... إذا رأى أجلك لم يحن بعد !...

أوديب : وما حظ الإله من الإمعان فى تعذيبى ؟!... أما استوفى حقه من عقابى بعد ؟!...

الكاهن : ربما يريد بك خيرا !؟...

أوديب : أى خير يمكن أن يحل بى بعد اليوم ؟... وقد انطفأ من حولى النور !... كل نور قد انطفأ ... فى عينى وفى قلبى ... لقد دثر حياتى ظلام أبدى ... كأنه رداء حداد لن يخلع عنى أبداً ...

الكاهن : لو أنك أردت أن تدنو من الإله ، فأشعلت له فى نفسك

« مسرجة » ؛ — لأضاءت لك فى أحلك لياليك ...
ولكنك آثرت أن تولد فى « عقلك » « مصابيح » ...
انطفأت كلها عند عصمة من عصف الريح !...

أوديب : لا تلمنى أيها الكاهن ... ولا تنتقم منى !... لقد أضأت حقاً تلك « المصابيح » لأبحث عن « الحقيقة » !... ولقد حذرنى يوماً « ترسياس » من أن تلمس أصابعى وجهها ... وتدنو من عينيها !...

إنها لا تحب من يحدق إليها أكثر مما ينبغى !... نعم ... لقد دنت هذه الأصابع منها أكثر مما ينبغى حتى اقتلعت عينى أنا !...

لقد انتقمت هى ... فخفف عنى أنت أيها الكاهن !... إنى فى حاجة إلى رثائك ورحمتك !.

الكاهن : وما تنفعك رحمتى ؟!... وقد نزلت بك كل هذه الخطوب ؟!... ولكنى أستنزل عليك رحمة السماء !...

الجوقة : هذا « كريون » يخرج من القصر شاحب الجبين !...

أوديب : « كريون » قادم ؟... سلوه العون لى ، والتخفيف من آلامى ؟!

كريون : (وقد ظهر) لماذا فعلت بنفسك هذا يا « أوديب » ؟!. وما الذى ترجوه منى تخفيفا لآلامك ؟!...

أوديب : دعونى أذهب بعيداً عن « طيبة » ... اطردونى من أرضكم ؛ كما تطرد اللعنة !...

كريون : لا تسألنى ذلك يا « أوديب » !...

أوديب : لن أطلب إليك يا « كريون » ، الرحيل بأهلى ... كما طلبت أول مرة .. فالظروف قد تغيرت الآن ؛ كما تعلم .. سأذهب بمفردى .. تاركا لك أولادى .. ترعاهم بعنايتك .. فأنت لهم خير أب ... وأوصيك بالبنتين خيراً يا « كريون » ... و « أنتجونه » على الأخص .. لقد كانت شديدة اللصوق بى ... فحاجتها إلى حنانك أشد وأكثر .

هأنتذا ترى أن الأمر هين عليك إقراره ... فقد عهدت إليك باسرتى وأسرتك .. أى ما تبقى منها .. أما أنا فما فى بقائى من نفع ... لم أعد أصلح للبقاء !...

لقد صدقت « جوكاستا » العزيزة ... حملتها عبئاً على الحياة ... وقد قاومت كما قاومت ... ولكن شيئاً

أعظم بأساً وأقوى بطشاً قد انتصر .. وبذهاب « جوكاستا » أدركت قوة ذلك الشيء ، الذى أرغمها على الموت ... وفهمت أن حياتى أمست هى الأخرى عدما من العدم .. فكفتها من الفور فى الظلام !!...

كريون : ألك من مطلب آخر يا « أوديب » ؟...

أوديب : نعم !... لا تنس أن تجرى الطقوس الجنائزية اللائقة بدفن تلك المسجاة فى حجرتها !... إنها أختك !.. وإنى مطمئن إلى حسن قيامك بواجبك !.

ليس لى بعد ذلك من مطلب ، إلا أن أوصيك مرة أخرى بأطفالى ... وإنى لأطمع فى نبلك يا « كريون » ... وأسألك أن تبعث فى طلبهم الساعة ؛ لألمسهم بيدى !...

كريون : (يشير إلى الخادم قرب باب القصر) كنت قد رأيت إقصاءهم ، عن هذه المشاهد المؤلمة !...

أوديب : مرة ربما كانت هى الأخيرة ... لو أذنت أيها الرحيم « كريون » !... ألمس وجوههم البريئة بأصابعى .. وأتخيل ملامحهم ... وأتأمل فى رأسى صورهم ... ماذا أسمع ؟... ذلك وقع أقدامهم الصغيرة وذلك نشيج

أعرفه من « أنتجونه » ... إنهم آتون ... أتراك رحمتنى
يا « كريون » وأرسلت فى إحضارهم ؟.

(« أنتجونه » خارجة من القصر تقود إخوتها....)

كريون : لقد أمرت بإحضارهم لك يا « أوديب » ... فأنا أعلم
مقدار حبك لهم ... ها هم أولاء على مقربة منك !...

أوديب : (**يمد يده فى الهواء**) شكراً لك يا « كريون » !... أين
أنتم يا أولادى ؟! لست أراكم ... ولن تبصركم عيناى
بعد اليوم !..

أنتجونة : (**وهى تكفكف دمعها**) هون عليك يا أبتاه !.. ما
دامت لى عينان ، فهما لك.لن تكون وحيدا ...
سأكون إلى جانبك حيث تكون ...

أوديب : « أنتجونه » بنيتى ! لا يرضى قلبى أن أجرك معى فى
طريق الشقاء !... مكانك هنا إلى جانب خالك
وإخوتك ؟..

أنتجونة : لا مكان لى إلا بالقرب منك يا أبتى ... أبصر لك !..
ألا تذكر أنى تقت يوما أن أرى الأشياء بعينك ... أراها
كما تراها أنت ... سأحاول أن أبصر الأشياء كما

تبصرها ... لن أشعرك يوما أنك فقدت ناظريك !.

أوديب : بل أنا الذى كنت أتوق أن أرى الوجود صافياً طاهراً من عينيك !... ولكنى لم أعد أستحق ذلك ... ابقى يا بنيتى بعيدة عنى !... إن شبابك النضر هو ملكك ؛ لا ملكى !... لن آخذه منك .. فأرتكب جناية أخرى ...

عيشوا حياتكم يا أولادى !... وانفضوا أيديكم منى . فما أنا لكم إلا وصمة !... وما أنا عليكم إلا عبء ... يكفيكم منى ما سوف يلقيه على غدكم ظلى المشئوم !... ستكونون أمثولة الدهر ، ومضغة الأفواه وألعوبة الألسنة !... وما دام الناس فى حاجة إلى أوهام تغذى خواء أيامهم ، فستكونون أنتم أسطورة الناس !...

لا أمل لكم إلا فى شخص واحد : « كريون » خالكم ... اجعلوه لكم أبا ... ستجدون فى كنفه العطف والحنان ... وقد عاهدنى على العناية بكم ... وها نذا أمد لكم يدى تأكيدا للعهد ... أين يدك أيها الصديق ؟...

كريون : (**يتناول يد « أوديب » ويشد عليها**)

أوديب : اتخذوا لكم يا صغارى من « كريون » مثلا وقدوة !...
هذا الرجل السوى الخلق ، النقى السريرة . المؤمن النفس !... وإياكم ... إياكم أن تتخذوا من أبيكم مثلا ... بل اجعلوا لكم من مصيره موعظة !...

أنتجونة : (**تتساقط عبراتها على يد « أوديب » بلا شهيق ولا صوت**)

أوديب : ما هذه الدموع على يدى ؟!... دموع من هذه ؟..

أنتجونة : « منفجرة » لا تقل ذلك يا أبتاه !... لن أتخذ غيرك مثلا أبدا .. أبدا .. إنك بطل « طيبة » ..

أوديب : هذه أنت يا « أنتجونه » العزيزة !... ما زلت تؤمنين بأنى بطل ؟!... « **يبكى** » لا ... لم أعد كذلك اليوم يا بنيتى !.. بل إنى ما كنت يوما بطلا قط !.

(**« أنتجونه » تمسح دموع « أوديب » بكفيها ...**)

أنتجونة : أبتاه !.. إنك لم تكن قط بطلا ؛ مثلما أنت اليوم !..

مقدمة الترجمة الفرنسية(*)

محاكاة « سوفوكليس » . وإخراج « أوديب » الملك من جديد — إخراجه بالعربية — ومعالجة الموضوع القديم بل الخالد ، دون ذهاب إلى وجوب التزام التقليد الحرفى ، أو الترجمة الأمينة ، أو مجرد الاقتباس البسيط — هو ذاك المطلب الجرىء الذى قصد إليه « توفيق الحكيم » .

جرىء لأننا إذا لم نتناول بالذكر غير مؤلفى المسرح الفرنسيين — مع أننا نستطيع أن نجد بين الألمان ، والإنجليز ، والإيطاليين ، أقراناً لـ « توفيق الحكيم » — ألفينا المؤلف المصرى يتصدى لمطلب سبق أن حاوله ، من عام ١٦١٤ إلى عام ١٩٣٩ بحسب التاريخ المسيحى ، تسعة وعشرون مؤلفاً ، نلاق من بينهم « كورنيل » و « فولتير »

(*) وجدنا من النافع أن ننشر هنا مقدمة الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب ، وهى للمسيو « ألويس دى مارينباك » ، المتخصص السويسرى فى آداب اللغة اليونانية وفى تراجيديا « أوديب » بالذات ، ومؤلف البحث المستفيض عن الشعراء والناثرين الذين تناولوا مأساة « أوديب » على مر القرون . وقد تفضل بنقل هذه المقدمة إلى العربية الأستاذ « عبد الرحمن صدقى » ... لعل القارئ العربى يجد فيها ، وفى التعقيب عليها إيضاحاً ، لبعض مرامى المأساة ، فى وضعها هذا !......

و « م جـ شنيه » و « كوكتو » و « جيد » . وثمة لا يطاول « توفيق الحكيم » « سوفوكليس » وحده ، وإنما يطاول أعلاماً من المؤلفين المسرحيين ، نشأوا فى بلاد ، للفن المسرحى فيها السيادة والرياسة « وسوفوكليس » يخشى منه على من يسلك سبيله ويقفو أثره . وحسبنا أن نذكر ما جرى لـ « يور يبيدس » ، حين جاء بعد مأساة « لحويفورس » « لسلفه « آشيلوس » ومأساة « إلكترا » لـ « سوفوكليس » يخرج على المسرح تاريخ انتقام ، « أورستر » و « أختها » من أمها « كليتمنستر » ، ومن « أجيست » غاصب عرش « أجاممنون » ؛ فلقد جاءت مأساة « يوريبيدس » بعد مأساة ، « سوفوكليس » كما تجىء الهزيمة .

ومن ينعم النظر فى المعارضات الفرنسية ، التسع والعشرين ، لـ « أوديب » الملك لـ « سوفوكليس » ؛ — يتضح له جليا أنه إذا كان قد أمكن معارضة أبلغ المؤلفين الأثينيين فى مأساته ؛ — فإن أحداً لم يبلغ إلى التفوق عليه قط ، ولا إلى مساواته فحسب !...

ثم إن هذا لا يرجع إلى تفوق المسرح القديم ، على المسرح الحديث عامة ؛ فإن مأساة « فيدر » لـ « راسين » أجمل من بعض النواحى ، وأصدق فى التحليل النفسى ، وأوثق فى البناء من مأساة « هيبوليت » لـ « يوريبيديس » ، وهى مع ذلك — دون مراء — تقليد لها أمين ،

إلى حد كبير . فالأمر راجع إلى موضوع « أوديب » نفسه وهو موضوع موافق — تمام الموافقة — للوسائل المسرحية ، التى يملكها المسرح اليونانى ؛ لتأدية ما يجب تأديته ، كما أنه موافق تمام الموافقة — لروح هذا المسرح ، الذى تخلع أصوله ، المتصلة بأعياد إلٰه الخمر ، طابعا دينيا فلسفيا فى جوهره عليه وصميمه . وما من شك فى أن أسطورة « أوديب » تثير موضوع القدر ، القدر القاسى المحتوم ، الذى لا اختيار فيه ولا مرد له ، يجثم بكل وطأة ثقله ، على امرئ من قبل ميلاده ، قاضياً عليه أن يقتل أباه ويتزوج أمه ويجتهد المرء جهد ما يستطيع ؛ للخلاص من هذا القدر المحتوم ، فلا يستطيع إلا ارتكاب هذين المنكرين الفظيعين ، اللذين كتب له ارتكابهما .

أما فى العالم المسيحى — وعلى الأخص فى العالم الكاثوليكى — فإن فكرة قضاء محتوم أعمى ، قضاء تدبره الآلهة ؛ فى خبث ، ومكر ، وإرادة للأذى والشر ؛ — فكرة لا يمكن ورودها على البال ، بحال من الأحوال . ولقد كتب الأب الجزويتى « فولار » من أبناء القرن الثامن عشر رواية عن « أوديب » فلم يفته التعارض بين الفكرة المسيحية الغربية.. وبين الفكرة اليونانية ؛ فحاول أن يفرق بين قضاء الله ، وبين تصرفات الملك قاتل أبيه ومضاجع أمه ، أن يلقى تبعة الذنب كله ، على « أوديب » وحده . أما الوحى الذى ألقت به الآلهة

إليه ، فلم يكن أمراً مقضيا من القدر ، وإنما هو نذير وتحذير ، شاء الله فى لطفه أن يلقى به إلى الإنسان ؛ تنبيها له إلى الأخطار التى هو وارد عليها ، إذا اتبع شهواته ومضى فى علوائه . وعلى الضد من ذلك « كوكتو » فى الآلة « الجهنمية » ؛ فهو يشهدنا — فى طريقة عريقة فى اليونانية — على مطاردة الآلهة لبرىء من الأبرياء ، وإنزال القصاص به ؛ عفواً من غير اقتضاء ، على حين يحاول « جيد » أن يظهرنا — من وراء نفاذ أمر القضاء — على أن الإنسان ما برح مختارا لأحواله ، حر التصرف فى أفعاله .

ومعلوم للكافة — ولا حاجة بنا إلى معاودة ذكر الأسباب — أن هذه المعارضات الفرنسية الثلاث ، لـ « سوفوكليس » دون مستوى النموذج اليونانى ، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة المؤلفين — دون مواطنيهم أجمعين — قد أدركوا أن موضوع « أوديب » يقوم ، فى صميمه وجوهره ، على هذه المشكلة الفلسفية ، ويكاد يكون منحصراً فيها .

ويطالعنا اليوم « توفيق الحكيم » ، وهو — من حيث هو مسلم ينتمى إلى عالم ، لا يرفض فكرة القدر ، على أنها سخيفة باطلة ، ولا يدين بما يدين به الغرب ، فى تصوره للعلاقة بين الرب والعبد — يدع على الخصوص فى موضع أوفق وأدعى ؛ للنجاح فى مجال كان الإخفاق

فيه نصيب عامة المؤلفين المسيحيين ، من مقلدى « سوفوكليس » .

ولـ « توفيق الحكيم » — كما يعرف الذين قرءوا له « مشكلة الحكم » طريقة خاصة به ، فى تصوره لمحاكاة القديم . فهو لا يعرض للنموذج فى ظاهر مبناه ، بتعديل أو تبديل ، إلا بالقدر الذى يقتضيه المعنى الجديد ، المراد صبه فى هذا القالب ، ولكنه يتوفر على تحويل المسائل القديمة ، إلى أغراض حديثة عصرية ، وأن يجعلها أقرب إلى الإنسانية ، ويردها إلى نطاق أكثر عموما . ومن ثمة كانت بينه وبين « أنوى » آصرة وقربى . ولكنه يختلف عن « أنوى » فى أن مؤلف « أنتيجون » الحديثة يجعل من هذا التجديد عملية قائمة على قواعد مقررة ، ونهج مرسوم . فلا يكاد يمضى فيها حتى يضيق بها المتفرج . أما « توفيق الحكيم » فهو فى : أرابته ، وسخريته ، ويقظة رشده ، يخلع عن الأبطال الأقدمين تلك العظمة التى أضفتها عليهم الأساطير ؛ ليعيرهم عظمة غيرها — عظمة تصدر عن فضيلتهم البشرية ، دون سواها . فلم يلق « أوديب » « توفيق الحكيم » ، ذلك « الاسفنكس » ، الذى تتحدث عنه الأسطورة ، وما من وحش مفترس ، ألقى عليه لغزاً لم يسلم إلا بحله . بل قنع المسافر البطل بأن صرع أسداً ، كان يجول فى سفح جبل « سنيرون » ، ويفتك بأهل البلاد ؛ شأنه شأن الوحش الأسطورى ، الذى كان يفتك بالغنم فى

إقليم « فاليه » الموحش فى سويسرا ، واتضح عام ١٩٤٦ أنه لم يكن إلا ذئباً من الذئاب الضارية فى تلك الناحية .

أما الذى لفق قصة « الاسفنكس » الخيالية فإنما هو « تيرسياس » العرَّاف ، ذلك السياسى البارع ، والخبير العارف بالناس ، الذى فطن إلى ما يمكن أن تستخرجه الدعاية ، من هذا الحادث الصغير . فقد كان عليما بمبلغ ميل العوام ، إلى كل ما فيه إيهام وتهويل . فعمد — وقد اجتمع فى شخصه « ميكيافلى » و « جوبلز » — إلى الفتى الساذج ، صارع الوحوش ، فأجلسه على عرش « ثيبا » ، فكان كل ذنبه أن قبل الدور ، الذى أراده العرَّاف على لعبه ... وهكذا بات « أوديب » رهناً أسيراً لأكذوبة سياسية لا معدى له عن العمل على تقريرها فى أذهان الناس وفى أذهان ذويه « جوكاست » وأولاده ، الذين كانوا لا يملون من سماع هذه القصة البديعة ، التى يقوم عليها ما يباشره الملك من سلطان على « ثيبا » .

وهذا تصرف بارع ، وفيه مصلحة وخدمة تامة للغرض العميق ، الذى يتوخاه المؤلف . فقد نزل « أوديب » من قاعدته المنصوبة فى الأساطير ، وتورط فى أكذوبة ثقيلة الوطأة عليه ، وبالجملة أصبح إنساناً ، مثل سائر الناس . ولن يصبح عظيما إلا بمسلكه ، ونوع موقفه أمام الكارثة . ولا يتساءل « توفيق الحكيم » عن الموجب لهذه

الكارثة ؟... ويقنع بأن « أوديب » الذى جعل منه إنساناً ، قد قتل أباه ، وتزوج بأمه . وعندما يمتثل « أوديب » للمقتضيات السياسية ، التى تصطره إلى البحث عن قاتل « لاييس » ، فإنه يؤدى على النحو الواجب صنعته كملك : ويدير التحقيق بالذكاء والعناد العاتى ، اللذين جعلهما « سوفوكليس » من نصيبه ، فإذا هو يواجه شيئا فشيئا ، فظاعة الكارثة وهنا يتجلى مسلكه رائعا عظيما ؛ إذ ينزل بنفسه أفظع العقاب فيسترد فى المجال الخلقى تلك العظمة ، التى نزعها عنه « توفيق الحكيم » فى المجال الأسطورى . ثم إن الشخصيات الأخرى — « جوكاست » و « انتجون » و « أولاد أوديب » الآخرون ؛ — هم فى مسرحية « توفيق الحكيم » أعلى سنا منهم فى مأساة « سوفوكليس » ، ومن ثمة كان اشتراكهم فى القصة العصرية أكثر حركة ، وقد تناولهم « توفيق الحكيم » مثل تناوله لـ « أوديب » ، فهم أيضاً مخدوعون بأكذوبة « ترسياس » ، يخلعون على الملك عظمة مكذوبة ، عظمة الأسطورة ، ولا يتبينون عظمته الحقيقية ، وهى عظمة محض إنسانية ، إلا حين يواجهون رزءه ، حين يواجهون نوع إدراكه ، لما يجب أن تكون عليه العاقبة ، ولا يبقى غير « تيرسياس » — تيرسياس ، الذى يمثل هادم الأساطير ، والذى يشق الإهاب ، وينزع القناع الذى أعجب به الزمن القديم فى

غرارته ، أجل « تيرسياس » وحده ، هو الذى يبقى سليط اللسان ، قارص الكلام ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة حتى النهاية .

والمحاولة ممتعة ، وليس هناك ما يمنع الكاتب العصرى مقدماً ، من أن يستخدم لمراميه الخاصة تلك الخرافة ، التى استخدمها « سوفوكليس » ؛ لتصوير جبروت القدر ، وفزعات الإنسان الواقع فى حبائله ، يجاهد للفكاك على غير جدوى بل تفضى كل حركة من جهاده إلى توثيق الشباك ، وتوكيد انتصار القدر !... ولكن ، أترى هذه الخرافة على الخصوص ، تقبل كما تقبل الكثيرات غيرها تغييراً غير التعبير القديم ؟... إن المحاولات الفرنسية ، التسع والعشرين التى أسلفنا الإشارة إليها تجيب — فيما يظهر — على هذا السؤال بالنفى !...

فهل ترى نجح « توفيق الحكيم » فى إقامة الدليل على أن خرافة « أوديب » يمكن تحويلها إلى مقاصد ، غير التى كانت ماثلة قيد نظر « سوفوكليس » حين كتب مأساته ؟...

إن القارئ — والمتفرج فيما أرجو — قد يقضى بما يخالف رأيى . فأنا من ناحيتى أرى أن « أوديب » هذا الذى ولد على ضفاف النيل ؛ كأمثاله المولودين فى فرنسا ، لا يسلم من تناقض ، وذلك أن الخرافة هنا ، أقوى من المؤلف الذى يستخدمها . فلا غرو إذا كان « توفيق

الحكيم » وقد توخى استخدام الموضوع القديم ؛ للتعبير عن أفكار نفسانية وسياسية لم يستطع — شأنه فى ذلك شأن « فولتير » وشأن « جيد » — أن يمنع مسألة القدر المحتوم ، من معاودة الظهور فى أكثر من موضع . فلقد بلغ من قوة هذه الخرافة أنها لا تدع لمن أراد استخدامها ، إلا النزر القليل من حرية التصرف .. وهذا الجانب من الحرية قد استخدمه المؤلف المصرى ، جهد ما فى المستطاع استخدامه ، وعلى نحو يطرب له كل من تشغله هذه المسألة ، التى عرضت لـ « روما » المتثقفة باليونانية ، كما تناولتها من بعدها أوروبا الناهضة ، وما زالت حتى اليوم ماثلة تشغل الأذهان وهى مشكلة من أعظم المشاكل وأصعبها : مشكلة محاكاة القديم .

« ا . دى مارينياك »

تعقيب على المقدمة الفرنسية

عزيزى مسيو « دى مارينياك » !...

إن إخفاق ثلاثين مؤلفا ، فى مختلف العصور : منهم الوثنى والمسيحى ، ثم أخيرا المسلم ، أمام مأساة « أوديب » ؛ — لهو فى ذاته مأساة !... وعلة هذا الإخفاق تحتاج هى أيضا إلى دراسة !... وعلى الرغم من الحيطة ، التى اتخذتها حتى لا أمس بسوء « تراجيديا سوفوكل » فى قوتها الدرامية ، فإن شيئا قد فاتنا هو بلا ريب ، فى غير متناول أيدينا ... ذلك راجع — كما قلت — إلى موضوع « أوديب » نفسه ، وهو موضوع القدر القاسى المحتوم ، الذى لا اختيار فيه ولا مرد له ، يجثم ؛ بكل وطأة ثقله ، على امرىء من قبل ميلاده ... » !... ها هنا سر القوة فى مأساة « سوفوكل » ...

من ارتضى هذه الفكرة ، ومضى بها لا يلوى على شىء آخر ، فقد سلم إلى حد ما ، على شريطة أن يكون بها مؤمنا ؛ إيمان الإغريق الأقدمين ... ذلك أن كارثة المؤلف ، الذى يتصدى لـ « أوديب » ، هى أنه لا يريد أن يقبل هذه الفكرة ، أو يتخذها قاعدة لعمله ... فإن المسيحى المتدين لن يقبلها ، على صورتها العنيفة ، والمسيحى المتحرر

لن يقبل غير الإنسان متحكما فى مصيره ... وكلهم مع ذلك لا بد لهم من أن يواجهوا الخرافة فى قصة « أوديب » ؛ إذ بغير هذه الخرافة ، لا توجد القصة على الإطلاق !... تلك الخرافة التى قضت على « أوديب » — من قبل ميلاده — أن يتلقى ضربة القدر المحتومة ... وهكذا واجه المؤلفون — هم أيضاً — نوعا من « أبى الهول » ، يقطع عليهم الطريق : هو ذلك « التناقض » الذى يقعون فيه ؛ كما تقول : فهم لا يستطيعون قبول الخرافة كما هى ، ولا يستطيعون فى عين الوقت تناول قصة « أوديب » بغير الخرافة ...

أما فيما يتصل بى باعتبارى مسلماً ، فإن عقيدتى الدينية ترفض فكرة الله ، المدبر لأذى الإنسان تدبيراً سابقا دون مقتض أو جريرة ... بل إن فكرة التدبير السابق ، لما سينزل بالإنسان من أحداث ، لا توجد قبولا عند أهم الفلاسفة من المسلمين !...

فـ « ابن رشد » يقول عن الله : « إنه مريد لكون الشىء فى وقت كونه ، وغير مريد لكونه فى غير وقت كونه .. فأما أن يقال إنه مريد للأمور المحدثة بإرادة قديمة فبدعة !... »

فإذا رجعنا إلى فقهاء الدين ، وجدنا أن « أبا حنيفة » يرفض الانحياز إلى « الجهمية » ، وأصحاب « المذهب الجبرى » ، ولا يسلم كذلك بإرادة الإنسان المطلقة ، ولكنه يقف من هذه المشكلة

العويصة ، الموقف الذى أردت أنا أن أتبعه فيه ، عند تناولى « أوديب » !... قال أبو حنيفة : « إنى أقول قولا متوسطا : لا جبر ، ولا تفويض ، ولا تسليط ... والله تعالى لا يكلف العباد بما لا يطيقون ، ولا أراد منهم ما لا يعملون ، ولا عاقبهم بما لم يعملوا ، ولا سألهم عما لم يعملوا ، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ، والله يعلم بما نحن فيه !... »

هذه الحقائق عن الإسلام يبدو لى أنها مجهولة فى الغرب ... فالغربيون ما زالوا يعتقدون أن فكرة القدر عند المسلمين مقبولة على النحو ، الذى كان معروفا عند قدماء اليونان الوثنيين ... ولقد عدت إلى معجم « فلا ماريون » ثم إلى معجم « لاروس » ، أنقب تحت كلمة « قدر » — فعجبت إذ وجدت هذين المعجمين ينصان على أن القدر المطلق المحتوم ، هو عقيدة اليونان والمسلمين ... وأدركت من ورود كلمة « مكتوب » فى معجم « فلا ماريون » أن هذه الفكرة الخاطئة دخلت أوربا عن طريق التسرب العامى ، لا عن طريق التثبت العلمى !...

إذا استبعدت هذه الفكرة الخاطئة الشائعة ، واستحضرت قول أبى حنيفة « ... ولا عاقبهم بما لم يعملوا ... ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ... الخ » . فإن من السهل أن تفهم تصرف

« أوديب » عندى ... فهو قد ترك « كورنت » باحثا عن الحقيقة ، خائضا فيما ليس له به علم ، فجرته رغبته فى العلم بالحقيقة إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ، ممثلا فى « فرويد » ، عندما طفق يحفر فى أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه !...

« فالموجب » لكارثة « أوديب » عندى لا يمكن أن يكون حقد الآلهة ، المنطوى على الكيد والشر ... ولا يمكن كذلك أن أكون قد أردت إسقاط المسألة ؛ لتعارضها مع عقيدتى ، ولكنى — كما ترى — قد جعلت الموجب للكارثة طبيعة « أوديب » ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء ، الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة ...

على أن كارثة « أوديب » لها عندى موجب آخر ... هو عمل « ترسياس » ؛ وتدخله فى الأمور السائرة فى مجراها !...

إن كثيراً من الانقلابات التاريخية والمحن البشرية ، يرجع فى أغلب الأحيان إلى إرادة رأس كبير ، وتمرد بصيرة عمياء !... إن هنالك شراكا إلهية بدون ريب ، قد نصبها الله ، لا لإنسان بعينه ؛ بل لأى إنسان يخرج على النواميس !... شأنها شأن تلك الفخاخ ، التى ينصبها صاحب الحقل لاقتناص الثعالب ، التى تفسد الكروم !.. إنه لا يقصد بها ثعلبا بالذات ، نعم ، إن الله يمكر ويسخر ، من الماكرين

والعابثين !... متى يفعل ذلك ؟... متى تكون السخرية الإلهية ؟... أكانت منذ الأزل ، حين وضع الله الناموس ، وجعل إلى جانبه مصيدة ... متوقعا لها ضحية فى وقت من الأوقات ، لا يعنيه اسمها ولا شخصها ؟... أم أن المخالفة تقع أولا . فيطرح الإله بعدئذ على مرتكبها الشبكة فى حينها ؟... هذا مجال ليس لنا أن نخوض فيه !...

كل ما أردت أن أقول هو أن الصراع عندى فى « أوديب » لم يكن بين آلهة عتاة ، يبطشون ببرىء يتعقبونه لذاته ، ولكنه صراع بين إرادة الإله وإرادة الإنسان !...

على أن ذلك كله لا يخلينا من صعوبة المشكلة ... ولقد رأيت أنت جانبا واحداً ، من جوانب هذه الصعوبة ... هو محاولتى استخدام الخرافة القديمة ، التى لا تقبل فى صراحتها لبسا ولا غموضا ، فى أغراض تتعارض مع صميم الخرافة !...

ولكن هنالك جوانب أخرى من الصعوبة : منها اضطرارى إلى التعرض لمسألة « الجبرية » و « القدرية » فى حدود لا يمكن أن تتسع لها « التراجيديا » دون أن تفقد روعتها الفنية ... وهى مسألة تحطمت على صخرتها أدمغة الفلاسفة ، وفقهاء الدين ، فى مختلف العقائد !... وانتقلت فى العصور الحديثة ، من ميدان الدين

والفلسفة ، إلى ميدان العلم ؛ فقضية « الجبرية » و « القدرية » أصبحت اليوم قضية علماء « البيولوجيا » و « الطبيعة » و « الكيمياء » !...

وإنهم الآن ليتساءلون : إلى أى حد تكمن فى النطفة ، من صفات الوراثة ، ما يجعل الأبناء مسيرين مجبرين ، مقيدين : بصفات وشخصيات ، صنعت لهم صنعاً ؟... وإلى أى مدى يعتبر الجسم الإنسانى آلة دقيقة ، يسير كل شىء فيها بحساب مرقوم ، وفى اتجاه محتوم ؟...

والخلاف فى ذلك شديد بين العلماء ؛ كما كان بين الفلاسفة !.. على أن المعروف اليوم أن هناك مقداراً من الجبر ، ومقدارا من الحرية ، يسيطران على تصرفات الأحياء والجمادات ؛ فحتى فى عالم الغازات ، يوجد شىء من الحرية والانفلات ، خارج نطاق قوانينها الصارمة ... ذلك أن وجود القانون ... يستلزم وجود الخروج على القانون ... وهذا يستلزم أيضا نوعا من العقاب ... ليس فى اختلال النتائج وحدها ... بل فى إعادة الخلل إلى النظام ، ورد المتمرد إلى موضعه !...

ففى كل ذرة أو خلية ناموسها ، وإلى هذا الناموس شراكه الساحرة ، التى يقع فيها الخارج عليه ، فترده إلى مكانه من النظام

العام !... كل هذا داخل ضمن القانون الأزلى ، الذى يسير عليه الكون !...

وروح الإسلام يتمشى مع هذه النظرة ... لذلك كان لا بدلى أن أخضع قصة « أوديب » لهذا التفكير ، وإذا كنت قد لا حظت أنى جردت « أوديب » من عظمته الأسطورية ؛ — لأضفى عليه عظمة أخرى ، صادرة عن فضيلته البشرية ؛ فإن ذلك راجع أيضا إلى روح الدين الإسلامى ، الذى يفاخر بان نبيه العظيم بشر !...

كل هذه المقاصد لا توصلنا إلى شىء ، ما دمنا قد أفقنا فى استخراجها من صميم الخرافة القديمة ، التى قامت عليها مأساة « أوديب » !.. ولست أدرى إلى أى مدى كان إخفاق أنا بالذات ، بالنسبة إلى التسعة والعشرين السابقين ؟... ذلك أن مهمتى أعسر من مهمتهم !...

فهم بحكم ثقافتهم اللاتينية واليونانية ، لا يجدون هذا العمل غريبا عليهم ، ولا على آدابهم ، القائمة على آداب الإغريق واللاتين !... فى حين أحاول أنا اليوم ، أن أرسى هذا الفن الجديد فى آدابنا العربية ، على قواعده اليونانية . وهو العمل الذى كان يجب أن يصنع لدينا منذ قرون !...

لقد أنفقت أعواما أربعة فى هذه المحاولة ... أدرس بغير عجلة —

كل موقف ، وكل شخصية ، وكل قضية !... وأعنى بتفصيلات ودقائق ، تحتاج إلى تعليل جديد ، ترضاه عقولنا العربية الإسلامية !...

هذا الوحى الذى ذهب إليه « كريون » فى معبد « دلف » !... كيف يستطيع أن يعلم بمقتل « لايوس » ؟!... ثم هذا الطعن الذى أنزله « أوديب » بعينيه ؟... أكان إمعانا فى الكبرياء ؛ كما ذهب « جيد » ؟... أم رغبة فى أن يبلغ « أوديب » أوج الشقاء ؛ كما بلغ أوج المجد ؛ كما ذهب « كوكتو » ؟...

فى رأيى أن ذلك كله ، من قبيل التفسيرات الأدبية الذهنية !.. ولكن « أوديب » عندى كان شديد التعلق بأسرته ، عميق الحب لـ « جوكاستا » !... وكانت فجيعته فيها ، وهو يراها على هذه الميتة البشعة أشد مما احتمل !...

كانت لحظة جنون طارئة ، عصفت برأسه من غير شك ، فلم يشعر فيها بنفسه ، وهو يضرب عينيه ، ويصيح بالملكة :

« لن أبكيك إلا بدموع من دم !... » .

هذا تفسير لم أستطع أن أقبل غيره !... و « سوفوكل » لم يوضح لنا ذلك ؛ لأن الخرافة التى ارتكز عليها — فى كل قوتها وعنفها — تعفيه من أى إيضاح !... فشعور « أوديب » أنه تلقى هذه الضربة ، من الآلهة العاتية ، ومن « أبولون » على الأخص ، ذلك الحاقد عليه ؛

جعله يرى الحادث لعنة حقيقية ، لم يجد لدفعها سبيلا ، إلا أن ينزل بنفسه تلك الفظاعة ، التي قد تستدر عطف السماء !...

ولكن « أوديب » عندى لم يستطع التسليم لحظة ، بأن ما حدث أقوى من حبه لـ « جوكاستا » !... ما من شيء عنده أقوى من حبه لها ؛ فهو قد فعل بنفسه ما فعل من أجلها وحدها !...

وغير ذلك دقائق كثيرة ، وتفصيلات جمة ، يستطيع الباحث الدءوب أن يستشف منها عقبات وصعوبات ، وقفت فى وجه كل من حاول التصدى لمأساة « سوفوكل » !...

وما أعتقد أن أحداً من هؤلاء ، مرت بخاطرة — برهة واحدة — فكرة التحليق إلى مستوى النموذج اليونانى !... فإن كماله الفنى يرجع — فضلا عن عبقرية « سوفوكل » — إلى قوة الخرافة ، فى جوهرها الوثنى الأصيل ، وإيمان الشاعر بها ، واستخراجه كل المأساة وحدها !...

وما جادل أحد قط فى أن « أوديب » « سوفوكل » ، بلغت من الكمال الفنى أوجا ، هو مفخرة للذهن البشرى !... ولعل « شكسبير » أدرك ذلك بسليقته الفنية، فلم يقربها على ما فى موضوعها من إغراء ، وهو الذى استعار موضوعات آثاره من القصص : الدانمركية ، والإيطالية ، واللاتينية ، واليونانية !...

أراه خشى أن ينازل « سوفوكل » فى عرينه ؟... لو أنه فعل ،

لكان تاريخ الآداب الأوربية اليوم ذاخراً بفصول ، لا تحصى فى وصف هذا النزال المخيف !...

إن محاكاة القديم هى مشكلة صعبة حقا ... بل إنها تكاد تكون مستحيلة ، فى بعض الأحوال ؛ كما لو كنا نريد بعنب جديد أن نصنع للتو خمرة معتقة !... هنالك ولا شك سرّ خفى فى تركيب ذلك الخمر القديم ، يجعل له مذاقا لا يضاهى !...

أما بعد ، فحسبنا أن حاولنا الصعب من الأمور ، ونحن نعلم كل العلم أن الذى ينتظرنا فى نهاية الطريق هو الإخفاق ... إن أجزل الأجر هو أحيانا العمل نفسه ، لا نتيجته !... وما أعظم الأجر الذى نلته ، والثمر الذى تساقط علىَّ ، بمجرد مكثى بضع سنين ، فى ظلال تلك الشجرة القديمة ، الدائمة الاخضرار والإثمار : « تراجيديا سوفوكليس » !...

ت ا

الأستاذ علي أحمد باكثير

سلامة القس ـ جائزة قوت القلوب الدمرداشية

وا إسلاماه ـ جائزة وزارة التربية والتعليم

الثائر الأحمر

روميو وجولييت

السلسلة والغفران (مسرحية)

الدكتور حازم (مسرحية)

أبو دلامة « مضحك الخليفة » (مسرحية)

شعب الله المختار (مسرحية)

امبراطورية في المزاد (مسرحية)

الدنيا فوضى (مسرحية)

دار ابن لقمان (مسرحية)

قطط وفيران (مسرحية)

هاروت وماروت (مسرحية)

جلفدان هانم (مسرحية)

الزعيم الأوحد (مسرحية)

الملحمة الإسلامية الكبرى :

١ ـ عمر (على أسوار دمشق) (مسرحية)

٢ ـ عمر (معركة الجسر) (مسرحية)

٣ ـ عمر (كسرى وقيصر) (مسرحية)

٤ ـ عمر (ابطال اليرموك) (مسرحية)

٥ ـ عمر (تراب من أرض فارس) (مسرحية)

٦ ـ عمر (رستم) (مسرحية)

تاريخ الحضارة المصرية

تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر

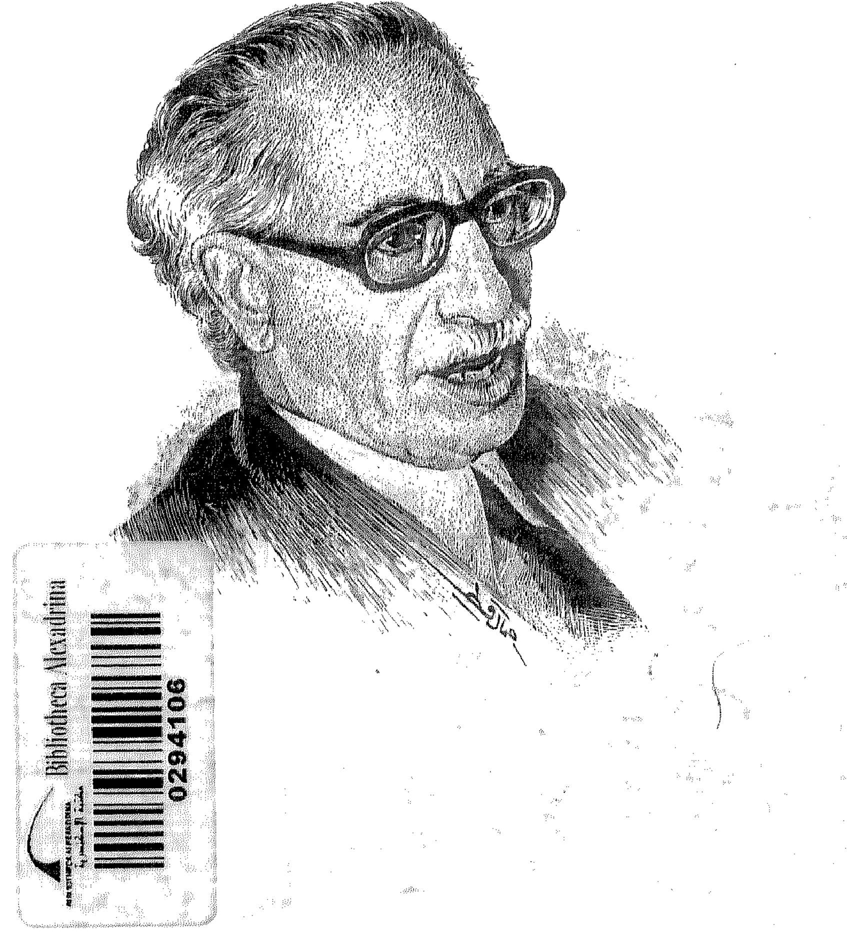
(الناشر مكتبة مصر)

المجلد الثاني : العصر اليوناني والروماني والاسلامي .

الفه نخبة من العلماء :

أمين الخولي
محمد مصطفى زيادة
ابراهيم نصحى
مراد كامل
حسين مؤنس
جمال الدين الشيال
محمد عبد العزيز مرزوق

رقم الإيداع ١٩٢٥ / ٨٨
الترقيم الدولى ٣ ـــ ٠٣٥٦ ـــ ١١ ـــ ٩٧٧



Bibliotheca Alexandrina
0294106

الثمن ٣٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه